التوحيد

مجلة ▪ إسلامية ▪ ثقافية ▪ شهرية تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية
العدد ٥٧٧ السنة التاسعة والأربعون- محرم ١٤٤١ هـ

بحار الفتن وسفن النجاة

إقبال عام وإدبار آخر.. وفتن كقطع الليل المظلم

ماذا بعد الحج .. ووداع عام ؟!

أحكام وحساب زكاة الركاز

رئيس مجلس الإدارة

أ.د. عبد الله شاكر الجنيدي

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾

جماعة أنصار السنة المحمدية

صاحبة الامتياز

جمعية أنصار السنة المحمدية

المشرف العام

د. عبد العظيم بدوي

اللجنة العلمية

جمال عبد الرحمن
معاوية محمد هيكل
د. مرزوق محمد مرزوق
محمد عبد العزيز السيد

إدارة التحرير ||

٨ شارع قولة عابدين - القاهرة
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

المركز العام ||

WWW.ANSARALSONNA.COM
هاتف: ٢٣٩١٥٥٧٦-٢٣٩١٥٤٥٦

البريد الإلكتروني ||

MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

رئيس التحرير ||

GSHATEM@HOTMAIL.COM

قسم التوزيع والاشتراكات

ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ ||

ISHTRAK.TAWHEED@YAHOO.COM

السلام عليكم

واعِظ ومُعتبر

دخلَ الفقيه ابن السماك يومًا على هارون الرشيد، رحمهما الله، فلما صار بين يديه قال له الرشيد: عظني يا ابن السماك، وأوجز.

قال له: كفى بالقرآن واعظاً يا أمير المؤمنين؛ قال الله تعالى: «وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ (١) ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ (٣) أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ (٤) لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ (٥) يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ» (المطففين: ١-٦). هذا يا أمير المؤمنين وعيدٌ لمن طفَّفَ في الكيل، فما ظنك بمن أخذه كله؟!

وقال له مرة: عظني، وأُتيَ بماء ليشربه، فقال: يا أمير المؤمنين، لو حُبستْ عنك هذه الشربة أكنت تفديها بملكك؟ قال: نعم. قال: فلو حُبس عنك خروجها أكنت تفديها بملكك؟ قال: نعم. قال: فما خيرٌ في مُلك لا يساوي شربة ولا بَوْلة!

قال: يا ابن السماك، ما أحسن ما بلغني عنك! قال: يا أمير المؤمنين، إن لي عيوبًا لو اطلع الناس منها على عيب واحد ما ثبتت لي في قلب أحد مودة؛ وإني لخائف في الكلام الفتنة، وفي السر الغرَّة، وإني لخائف على نفسي من قلة خوفي عليها.

التحرير

مفاجأة كبرى

نقدم للقارئ الكريم كرتونة كاملة تحوي ٤٦ مجلداً
من مجلدات مجلة التوحيد عن ٤٦ سنة كاملة

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر

رئيس التحرير:
جمال سعد حاتم

مدير التحرير الفني:
حسين عطا القراط

في هذا العدد

افتتاحية العدد: د. عبد الله شاكر ٢
كلمة التحرير: إقبال عام وإدبار آخر.. وفتنٌ كقطع الليل المظلم:
رئيس التحرير ٥
باب التفسير: د. عبد العظيم بدوي ٩
باب الاقتصاد الإسلامي: أحكام وحساب زكاة الركاز:
د. حسين حسين شحاتة ١٢
من أخلاق أهل القرآن: د. أسامة صابر ١٥
باب السنة: د. مرزوق محمد مرزوق ١٧
درر البحار: علي حشيش ٢١
باب فقه المرأة المسلمة: د. عزة محمد رشاد ٢٣
منبر الحرمين: د. صالح بن حميد ٢٦
نظرات في أحكام فُرقة الطلاق: محمد عبد العزيز ٢٩
من الأحداث الهامة في تاريخ الأمة: عبد الرزاق السيد عيد ٣٣
واحة التوحيد: علاء خضر ٣٦
دراسات شرعية: د. متولي البراجيلي ٣٨
باب الفقه: د. حمدي طه ٤١
بحار الفتن وسفن النجاة: د. عماد عيسى ٤٤
السلفية: د. أحمد سبالك ٤٧
الأمثال في القرآن: مصطفى البصراتي ٤٩
الأسرة المسلمة: جمال عبد الرحمن ٥٠
تحذير الداعية من القصص الواهية: علي حشيش ٥٣
قرائن اللغة والنقل والعقل: د. محمد عبد العليم الدسوقي ٥٧
سلامٌ على إبراهيم: د. ياسر لمعي ٦٢
إعلام أهل الديانة بوجوب أداء الأمانة:
المستشار أحمد السيد علي ٦٦
من روائع الماضي: الشيخ صفوت الشوادفي، رحمه الله ٦٨
ماذا بعد الحج ووداع عام: عبده أحمد الأقرع ٧١

سكرتير التحرير:
مصطفى خليل أبو المعاطي

الإخراج الصحفي:
أحمد رجب محمد
محمد محمود فتحي

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ١٠٠ جنيه توضع في حساب المجلة رقم/ ١٩١٥٩٠ ببنك فيصل الإسلامي مع إرسال قسيمة الإيداع على فاكس المجلة رقم/ ٠٢٢٣٩٣٠٦٦٢

٢- في الخارج ٤٠ دولاراً أو ٢٠٠ ريال سعودى أو مايعادلهما

ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الإسلامي فرع القاهرة - باسم مجلة التوحيد - أنصار السنة حساب رقم ١٩١٥٩٠/

ثمن النسخة

مصر ٥٠٠ قرش، السعودية ٦ ريالات، الإمارات ٦ دراهم، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر ٦ ريالات، عمان نصف ريال عماني، أمريكا دولاران، أوروبا ٢ يورو

منفذ البيع الوحيد بمقر مجلة التوحيد الدور السابع

١٠٥٠ جنيهاً ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات داخل مصر و٣٠٠ دولاراً خارج مصر شاملة سعر الشحن.

افتتاحية العدد

وقفات مع العام الهجري الجديد

الرئيس العام

د. عبد الله شاكر

الحمد لله رب العالمين، حكم بفناء هذه الدار، وجعل الآخرة هي دار القرار، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمدًا عبده ورسوله المصطفى المختار، اللهم صل عليه وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديهم إلى يوم المعاد، وبعد:

فقد أوشك العام الهجري على الانتهاء، وسنستقبل عامًا جديدًا بعد ساعات- إن شاء الله تعالى-، وقد رأيت أن أقف مع إخواني قراء مجلة التوحيد بعض الوقفات، وهي كما يلي:

الوقفة الأولى: الاعتبار بمرور الليالي والأيام:

جعل الله الليل والنهار يتوالى كل منهما على العباد ليحدث لهما الذكر والنشاط، كما قال تعالى: « وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةً لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ شُكُورًا » (الفرقان: ٦٢)، وفي تعاقب الليل والنهار انتهاء للأعمار، فكل يوم ينقضي يدني الإنسان من أجله؛ لأن الأيام مراحل ومطايا تبعد من الدنيا وتقرب من الآخرة، وقد مدح الله- تبارك وتعالى- من يعتبر بذلك، قال تعالى: « إِنَّ فِى خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِى ٱلۡأَلۡبَٰبِ » (آل عمران:١٩٠)، وقد خص الله الانتفاع بالآيات أولي الألباب، لأنهم هم الذين يتأملونها بعقولهم، كما ذم من لا يتأمل ويعتبر بآيات الله الدالة عليه، قال الله تعالى: « وَكَأَيِّن مِّنۡ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يَمُرُّونَ عَلَيۡهَا وَهُمۡ عَنۡهَا مُعۡرِضُونَ » (يوسف:١٠٥).

ولذلك على العبد أن يتأهب للرحيل والانتقال من هذه الدار، قال الله تعالى: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا

وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ » (المنافقون:٩- ١١)، وقد حث النبي صلى الله عليه وسلم على تذكر الموت، فقال كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «أكثروا من ذكر هاذم اللذات». (أخرجه الحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي (٣٢١/٤)، وانظر: إرواء الغليل ١٤٥/٣).

كما رغب في تقصير الأمل والزهد في الدنيا، كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما لي وللدنيا؟ ما مثلي ومثل الدنيا إلا كراكب سار في يوم صائف، فاستظل تحت شجرة ساعة من نهار، ثم راح وتركها». (أخرجه الحاكم، وقال: على شرط البخاري، ووافقه الذهبي (٣٠٩/٢، ٣١٠)، وانظر: السلسلة الصحيحة حديث رقم (٤٣٨)).

الوقفة الثانية: شهر الله المحرم فاتحة شهور العام:

يقع شهر المحرم على رأس العام، وهو من الأشهر الحرم التي لها مكانة عظيمة في الإسلام، قال الله تعالى: « إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرٗا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوۡمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ حُرُمٞۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُۚ فَلَا تَظۡلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمۡۚ وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ » (التوبة:٣٦).

والمراد بالشهور هنا: الشهور التي تتألف منها السنة القمرية، وعدتها اثنا عشر شهرًا، والأشهر الحرم منها هي: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب، وقد فرض الله احترام هذه الأشهر وتعظيمها وحرم القتال فيها، ونهى العبد أن يظلم نفسه فيها بارتكاب ما حرم الله، قال محمد رشيد رضا: «وظلم النفس يشمل كل محظور، ويدخل فيه هتك حرمة الشهر الحرام دخولا أوليا، فإن الله تعالى اختص بعض الأزمنة، وبعض الأمكنة بأحكام من العبادات تستلزم ترك المحرمات فيها، والمكروهات بالأولى، لأجل تنشيط الأنفس على زيادة العناية بما يزكيها، ويرفع شأنها». (تفسير القرآن العظيم ٤٨٢/١٠).

ومن أحب الأعمال إلى الله في شهر المحرم الصيام؛ لما روى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ رَمَضَانَ شَهْرُ اللهِ الْمُحَرَّمُ وَأَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ صَلَاةُ اللَّيْلِ». (مسلم: ١١٦٣).

قال النووي رحمه الله: «فيه تصريح بأنه أفضل الشهور للصوم، سبق عن إكثار النبي صلى الله عليه وسلم من صوم شعبان دون المحرم، وذكرنا فيه جوابين: أحدهما: لعله إنما علم فضله في آخر حياته، والثاني: لعله كان يعرض فيه أعذار من سفر أو مرض أو غيرهما». (شرح النووي على مسلم ٥٥/٨).

يلاحظ أن الله تبارك وتعالى افتتح السنة بشهر حرام وختمها بشهر حرام، والصيام له مكانة خاصة في هذين الشهرين، وفي استحباب الصيام فيهما لفتة كريمة أشار إليها الحافظ ابن رجب في قوله: «فمن صام شهر ذي الحجة سوى الأيام المحرم صيامها منه وصام المحرم، فقد ختم السنة بالطاعة وافتتحها بالطاعة، فيرجى أن تكتب سنة كلها طاعة، فإن من كان أول عمله طاعة وآخره طاعة فهو في حكم من استغرق بالطاعة ما بين العملين». (لطائف المعارف ص٥٤).

وأفضل أيام هذا الشهر يوم عاشوراء، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يصومه ويرشد أصحابه إلى ذلك، كما في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء، فقال: ما هذا؟ قالوا: هذا يوم صالح، هذا يوم نجى الله بني إسرائيل من عدوهم فصامه موسى، قال: فأنا أحق بموسى منكم، فصامه وأمر بصيامه». (البخاري: ٢٠٠٤، ومسلم:

١١٣٠).

وعن أبي قتادة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ثَلاثٌ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ فَهَذَا صِيَامُ الدَّهْرِ كُلِّهِ، صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ أَحْتَسِبُ عَلَى اللهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ وَصِيَامُ يَوْمِ عَاشُورَاءَ أَحْتَسِبُ عَلَى اللهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ». (مسلم: ١١٦٢).

وقد عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر حياته أن يصوم يومًا قبله، كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «حِينَ صَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ قَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّهُ يَوْمٌ تُعَظِّمُهُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِذَا كَانَ الْعَامُ الْمُقْبِلُ إِنْ شَاءَ اللهُ صُمْنَا الْيَوْمَ التَّاسِعَ قَالَ فَلَمْ يَأْتِ الْعَامُ الْمُقْبِلُ حَتَّى تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ». (مسلم: ١١٣٤).

ويلاحظ من الأحاديث السابقة أن موسى عليه السلام كان يصوم يوم عاشوراء شكرًا لله على تأييده له ونصره على فرعون وجنوده، وذلك أن موسى عليه السلام خرج ومن آمن معه بوحي من الله تعالى من أرض مصر قاصدًا بلاد الشام، فجمع فرعون جيشه ليلحق بموسى ومن معه، حتى وصلوا إلى مقربة منهم ورأى بعضهم بعضًا، وكان موسى قد انتهى في طريق إلى البحر، وليس له طريق غيره، وكان عليهم أن يسلكوه، وهذا ما لا يستطيعه أحد، فأوحى الله إلى موسى: «أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ» (الشعراء:٦٣)، فتقدم موسى إلى البحر وهو يتلاطم بأمواجه، فضربه كما أمره الله فانفلق، كما قال الله تعالى: «فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ» (الشعراء:٦٣)، أي: كالجبل الكبير، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «صار البحر اثني عشر طريقًا، لكل سبط طريق». (تفسير ابن كثير ٤٦٢/٣).

عندئذ نزل موسى ومن معه إلى البحر سالكين الطرق فيه، وتبعهم فرعون وجنوده ونزلوا البحر ليلحقوا بموسى ومن معه، فأطبق الله عليهم وأغرقهم أجمعين، قال الله تعالى: «وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ» (الشعراء:٦٥، ٦٦)، وكان هذا الحدث العظيم في يوم عاشوراء.

الوقفة الثالثة: حدث الهجرة العظيم:

يذكرنا بداية العام وأحداث الهجرة النبوية التي يحتفي بعض المسلمين بها ويقعون في بعض البدع، وليس هذا هو المقصود من الهجرة، فالهجرة النبوية حدث غيَّر وجه التاريخ، وكانت تحولاً عظيمًا من عبادة الأوثان إلى عبادة رب العباد، وقد ارتفع بسببها الاضطهاد والظلم الذي كان المشركون يوقعونه بالمؤمنين، وقد أذن النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه بالهجرة أولاً، ثم أذن الله لرسوله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك بالهجرة، فحفظ لها وقام بها يرافقه صاحبه الصديق، وتحفظهم عناية الله وتأييده، قال الله تعالى: «إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» (التوبة:٤٠)، والهجرة علامة على صدق الإيمان، وقد وعد الله المهاجرين بالفوز والرضوان والجنان، كما قال الله تعالى: «ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ» (التوبة:٢٠، ٢١)، وفي المدينة بنى النبي صلى الله عليه وسلم دولة، وبدأ في إرسال السرايا والدعاة إلى الله خارج الجزيرة العربية، وانتشر نور الإسلام في أرجاء المعمورة.

وفق الله المسلمين لما يحبه ويرضاه، والحمد لله رب العالمين.

إقبال عام وإدبار آخر.. وفتنٌ كقطع الليل المظلم

رئيس التحرير

جمال سعد حاتم

GSHATEM@HOTMAIL.COM

الحمد لله ينجي المؤمنين، ويمحق ويذل الكافرين، وبعدُ:

فما أشبه اليوم بالأمس! منذ وقت قريب كنا نستقبل هذا العام، وها نحن نودُعه على مشارف عام هجري جديد، بعد توديع عام قد مضى وانقضى، تصرمت أيامه، وذهبت لياليه، وغابت شمسه، قد آذن بالرحيل ليشهد لنا أو علينا بما أودعناه من أعمال، فالسعيد فيه من عمَّره بالطاعات، والإكثار من الخيرات، والعلو في الدرجات.!

تمر الشهور بعد الشهور، والأعوام بعد الأعوام، وإن في مرورها لعبرة وعظة لمن أراد أن يَذَّكَّر أو أراد شكورًا، وها أنتم تدخلون إلى عام جديد، وتودعون عامًا من عمركم، فاتقوا الله وتبصَّروا في هذه الأيام والليالي؛ فإنها مراحل تقطعونها إلى الدار الآخرة حتى تنتهوا إلى آخر سفركم، وكل يوم يمر بكم فإنه يبعدكم عن الدنيا، ويقربكم من الآخرة، فطوبى لمن اغتنم هذه الأيام بما يقرّبه إلى الله، طوبى لعبد شغل نفسه بالطاعات، واتعظ بما فيها من العظات، «يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ» (النور:٤٤).

عبر وعظات من انقضاء الأعوام

ونحن نودع عامًا لنستقبل الذي يليه في غفوة من الزمان، كان لزامًا علينا أن نتذكر أنه بانقضاء العام بعد العام ينقضي العمر، وبسرعة مرور الأيام يقترب الموت، وبتغير الأحوال زوال الدنيا وحلول الآخرة، فكم وُلِدَ في هذا العام من مولود!، وكم مات من حي! وكم استغنى فيه من فقير!، وافتقر من غني!، وكم عز فيه من ذليل!، وذل فيه من عزيز!، كم من قريب لنا وخليل وصاحب افتقدناه هذا العام، وأفضى إلى ما قَدم وعمل!

والله لتموتنَّ كما تنامون، ولتُبعثن كما تستيقظون، ولتخبرن بما كنتم تعملون، وليس بعد ذلك إلا جنة للمطيعين، ونار جهنم للعاصين، «أَفَمَن يُلۡقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيۡرٌ أَم مَّن يَأۡتِيٓ

ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ » (فصلت: ٤٠).

فمن غفل عن نفسه تصرمت أوقاته، واشتدت عليه حسراته، وأيّ حسرة على العبد أعظم من أن يكون عمره عليه حجة، وتقوده أيامه إلى المزيد من الردى والشقوة.

إن الزمان وتقلباته أنصح المؤدبين، وإن الدهر وقوارعه أفصح المتكلمين، « فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ » (الحشر: ٢).

وفي غفلة من الزمان ينسى الناس أو يتناسون أن العظم قد وهن، وأن الشعر قد ابيض ورحل الأقران، ولم يبق إلاّ الرحيل، فعجيب حال هذا الغافل، يوقن بالموت ثم ينساه، ويتحقق من الضرر ثم يغشاه، يخشى الناس والله أحق أن يخشاه، ويَغْفَل عن الهرم، يعلم ولا يكترث بالعمل، يطول عمره ويزداد ذنبه، يبيض شعره ويسودّ قلبه، قلوب مريضة عزّ شفاؤها، وعيون تكحلت بالحرام فقلّ بكاؤها، وجوارح غرقت في الشهوات فحقّ عزاؤها.

ألم يأن لأهل الغفلة أن يدركوا حقيقة هذه الدار؟! أما علموا أن حياتها عناء، ونعيمها ابتلاء، جديدها يبلى، المتعلقون بها على وَجَل إما في نعم زائلة، أو بلايا نازلة!!

ولنتذكر كلام رب العزة عز من قائل: « إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ » (غافر: ٣٩).

انقضاء الأيام والليالي

وبين وداع عام واستقبال عام آخر تدور بنا الأحداث والوقائع ولا يدري المرء إلى أين هو سائر، وماذا يخبئ الله له في هذه الحياة الدنيا، يقول الله تبارك وتعالى: « إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ » (لقمان: ٣٤).

ومع انقضاء الأيام والليالي كان حتمًا علينا أن نتعظ، وأن نعتبر ونتذكر ونستبصر لكي نستفيد من هذه الحوادث التي تحدث لنا في الليل والنهار، يقول الواحد القهار: « يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ » (النور: ٤٤).

فالأيام تدور سراعًا، والوقت يمضي سريعًا، وكل ذلك إنما هو محسوب علينا، ويمضي من أعمارنا، وينقضي من آجالنا، فماذا أعددنا للنهاية؟!، وماذا عملنا ليوم القيامة؟! وبأي عمل سيختم لنا به فتكون خاتمتنا حسنة أو سيئة؟!

فاعتبروا يا أولي الأبصار، ولتسلكوا طريق الأبرار، ولا تغرنكم الدنيا بزخارفها وفتنها؛ فإنها دار عناء وبلاء لا دار خلود وقرار، « وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ» (الأنعام: ٣٢)، «إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ » (يونس: ٢٤).

ونحن نودع عامًا ونستقبل آخر، فلنقف وقفة متأنية لنتأدب مع الله تعالى، ولا يغرنا حلم الله علينا، ولا تلهينا دنيانا عن آخرتنا، فإن الله سبحانه قادرٌ على تعذيبنا بذنوبنا، وقادر على إنزال سخطه وعذابه بنا؛ إن لم نرحم أنفسنا ونتب إلى ربنا سبحانه؛ « وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ » (النحل: ٦١)، « قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ » (الأنعام: ٦٥)، « رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ۚ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا » (الإسراء: ٥٤)، « أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ (٤٥) أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ (٤٦) أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ » (النحل: ٤٥-٤٧).

همسات قبل فوات الأوان

وبين وداع عام مضى بكل ما حمل في طياته من آلام وآمال، ونحن على أعتاب استقبال

عام آخر؛ فإننا نهمس في أذن كل مسلم أيًا كان موقعه همسات لعل الله ينفعه بها:

الأولى: إلى من يقرأ تلك السطور على صفحات مجلتنا الغراء مجلة التوحيد نقول: ها هو عامٌ مضى فهل يا ترى عُمِّر بالطاعات وتحصيل الحسنات أم لُطخ بالمعاصي والسيئات؟ « وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ (٣٩) وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ (٤٠) ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ » (النجم: ٣٩-٤١).

الثانية: إلى كلِّ داعيةٍ وطالب علم.. سل نفسك.. أينَ أنت؟ وماذا قدَّمت؟ ما هيَ مخطَّطاتك؟ وماذا تريد؟ ألا تكفي الأعمالَ الارتجاليةُ دون تخطيط أو تفكير؟ ألا يكفي الانشغالُ بالمهمِّ عن الأهم؟

الثالثة: إلى شباب الأمة المحبين لدينهم وأمتهم وأوطانهم أقول لهم: إنكم تعلمون أن أمة الإسلام اليوم تواجه أزمات قاسية وهجمات شرسة وضارية موجهة من سائر أعدائها، فلا تغرنكم فعالهم، ولا تهولنكم دعواتهم، بل عليكم مواجهتهم بسلاح العلم الشرعي، ولتكونوا قريبين من العلماء والمشايخ؛ واسلكوا طريقهم.

الرابعة: إلى من يتقلد مناصب الإعلام أقول: إنك تعلم مدى تأثير الإعلام على واقع الأمة ودوره الكبير في توجيه الناس وقيادتهم سلبًا كان أم إيجابًا، فالإعلام جعل هذا العالم قرية واحدة وهو سلاح ذو حدين، فإما أن يُستخدم في الخير فهذا هو الفلاح والفوز، وإما أن يُستخدم لنشر الشر، وهذا هو الخسران والخيانة لعقول الناس والأمة، فالذي ينبغي هو تعاون الجميع من أجل تصحيح تلك المجالات الإعلامية ودخولها بكل قوة ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً.

الخامسة: إلى كل من ولاه الله أمرًا من أمور المسلمين خاصًا كان أو عامًا؛ فليتذكر أن الله سائله عما استرعاه، أحفظَ أم ضيَّعَ، تذكر أنك ستقف في ساحة القيامة حيث يقضي فيها الله جل وعلا، إن هذه الأمانة التي توليتها إما أن تكون ممرًا لك إلى الجنة، وإما أن تُبعدك عنها، فاتق الله فيما توليت، واسأل ربك الإعانة والتوفيق؛ فإنه خير معين.

السادسة: إلى إخواننا المرابطين الصامدين على التراب الفلسطيني في كل البقاع الفلسطينية، فلتصبروا ولتحتسبوا وتأكدوا أن وعد الله آت، وأن الظلام سينجلي، ويسفر صبح بديع المحيا، وأن الفرج قريب فلا تجزعوا، أسأل الله أن يؤيدكم بنصره، وأن يكفَّ بأس الذين كفروا عنكم، «وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ » (الأنفال: ٤٦)، نسأل الله أن يجعلنا ممن يستخلص العبر مما مضى من السنين، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

فتن كقطع الليل المظلم

وفي غفلة من الزمان ينقضي عام ترك وراءه فتنًا تموج فيها الشعوب والبلدان؛ حيث تجمعت قوى الشر والعدوان يفتِّتون أرضها، ويقتلون شعبها، ويستحلّون ثرواتها، ويقتسمون النفوذ بعد تقسيم البلدان إلى كونتونات ومناطق نفوذ يُحقّقون لأنفسهم من خلالها منافذ لتحقيق مآربهم وبسط نفوذهم، واستعمار تلك البلاد هو صورة جديدة للاستعمار القديم.

وما يحدث أمام أعين العالم كله في بلدان المسلمين وديارهم في العراق وسوريا واليمن وليبيا والسودان والجزائر ولبنان ومنطقة الخليج؛ حيث يتقاسمون الأدوار فيما بينهم؛ بين أمريكا وأوروبا، وروسيا وتركيا، وإيران، وما يُدَبَّر في السودان ومن قبلها ليبيا المجاورتين لمصر والدفع بالدواعش وأصحاب الأفكار الخربة الفارّين من مناطق النزاع الأخرى كسوريا والعراق إلى التوطن في ليبيا، وتشكيل جبهة ضغط على مصر من خلال تلك الفئات الضالة بمخططات دُبِّرت بليل للنَّيل من مصر.

نسأل الله العلي العظيم في مطلع هذا العام

الجديد أن يعيد الله لمصر ولتلك البلدان العربية مكانتها العالية، وأن يُعينها على التخلص من كل مَن تسوّل له نفسه الكيد لتلك الشعوب وتلك الدول، وأن يحفظهم الله بحفظه، وأن يرد كيدهم في نحورهم.

التحذير من الفتن والمخرج منها

ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إنَّ أمَّتَكُمْ هذه جُعِلَ عافيَتُها في أوَّلها، وَسَيُصيبُ آخِرَها بَلاءٌ، وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَها، وَتَجِيءُ فتْنَةٌ فيُرَقِّقُ بَعْضُها بَعْضًا، وَتَجِيءُ الفِتْنَةُ فَيَقولُ المُؤْمِنُ: هذه مُهْلِكَتي، ثُمَّ تَنْكَشِفُ وَتَجِيءُ الفِتْنَةُ، فيَقولُ المُؤْمِنُ: هذه هذه، فمَن أحَبَّ أنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النّارِ، وَيُدْخَلَ الجَنَّةَ، فَلْتَأْتِه مَنِيَّتُهُ وَهو يُؤْمِنُ باللَّه والْيَومِ الآخِرِ، وَلْيَأْتِ إلى النّاسِ الذي يُحِبُّ أنْ يُؤْتَى إلَيْه». (مسلم: ١٨٤٤).

وأخبر صلى الله عليه وسلم عن فتن كقطع الليل المظلم يرقّق بعضها بعضًا، يصبح الرجل فيها مؤمنًا ويمسي كافرًا، يبيع دينه بعرض من الدنيا، وذكر صلى الله عليه وسلم فتنًا القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، أي أنه كلما كان أضعف وأعجز فيها كان أفضل، كما أرشد صلى الله عليه وسلم من أراد النجاة من تلك الفتن بلزوم ولي أمر المسلمين وجماعتهم، ولما قيل له: فإن لم يكن لهم إمام ولا جماعة؟ قال: «فاعْتَزِلْ تلكَ الفِرَقَ كُلَّها، ولو أنْ تَعَضَّ بأَصْلِ شَجَرَةٍ، حَتَّى يُدْرِكَكَ المَوْتُ وأَنْتَ على ذلكَ» (صحيح البخاري ٣٦٠٦).

وأخبر صلى الله عليه وسلم من حضر الفتن أن يبتعد عنها، ومن سمع بها فلا يأتها.

منحة المنان في استقبال العام

ونحن على أعتاب عام هجري جديد فلا بد أن تتذكر أن من أعظم أيام الله التي يستقبلها المسلمون يوم عاشوراء؛ ذلك اليوم الصالح الذي يُذكر فيه الله سبحانه أهل الايمان بنعمة من أجل نعمه، وأعمقها أثرًا، وأعظمها دلالة؛ تلك هي نعمة إنقاذ نبي الله موسى عليه السلام ومن معه من المؤمنين وإغراق الطاغية فرعون وجنوده، «ٱلَّذِينَ طَغَوۡاْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكۡثَرُواْ فِيهَا ٱلۡفَسَادَ» (الفجر:١١، ١٢) حين استكبروا في الأرض بغير الحق، ونفوا القيامة، وأنكروا المعاد، وبلغ بفرعون عتوّه وعلوّه وإسرافه واستكباره أن قال لقومه: «مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي» (القصص:٣٨)، وقال لهم أيضًا: «أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ» (النازعات:٢٤)، فقصَّ الله خبره في كتاب يُتلى ليكون عبرة للأبد وعظة مدى الأيام، فقال سبحانه: «وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِيٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرۡسَلَ فِرۡعَوۡنُ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرۡذِمَةٞ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمۡ لَنَا لَغَآئِظُونَ» (الشعراء:٥٢-٥٥).

وسن رسول الله صلى الله عليه وسلم للأمة صيام هذا اليوم العظيم المبارك؛ شكرًا لله على نعمة إنجاء موسى عليه السلام ومن معه من المؤمنين.

فقد أخرج الشيخان في صحيحيهما: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ الله عَنْهُمَا قَالَ: قَدِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ فَرَأَى الْيَهُودَ تَصُومُ يَوْمَ عَاشُورَاءَ، فَقَالَ: مَا هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا يَوْمٌ صَالِحٌ هَذَا يَوْمٌ نَجَّى الله بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ عَدُوِّهِمْ؟ فَصَامَهُ مُوسَى، قَالَ: فَأَنَا أَحَقُّ بِمُوسَى مِنْكُمْ، فَصَامَهُ وَأَمَرَ بِصِيَامِه. (البخاري: ١٩٠٠).

وأخبر صلواتُ اللّه وسلامه عليه عن عظم ثواب صيام هذا اليوم، فقال: «صِيَامُ يَوْمِ عَاشُورَاءَ أَحْتَسِبُ عَلَى الله أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ» (مسلم: ١١٦٢).

ومن السنة في صيامه أن يُصام يومٌ قبله، فقد أخرج مسلم في صحيحه: عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ الله عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّه صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ: لَئِنْ بَقِيتُ إِلَى قَابِلٍ لَأَصُومَنَّ التَّاسِعَ، وَفِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ قَالَ: يَعْنِي يَوْمَ عَاشُورَاءَ. (مسلم: ١١٣٤).

«رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ» (الأعراف:٢٣)، «رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ» (آل عمران:٨).

والحمد لله رب العالمين.

باب التفسير

سُورَةُ الْفَتْحِ

الحلقة السادسة

قال تعالى: « وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَاۚ بَلْ كَانُواْ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا »

(الفتح: ١٤- ١٥)

إعداد **د. عبدالعظيم بدوي**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

الحَثُّ عَلَى التَّوْبَةِ وَالتَّرْغِيبُ فِيهَا:

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «وَللَّه مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ»: أي وَللَّه سُلْطَانُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، فَلَا أَحَدَ يَقْدرُ أَيُّهَا الْمُنَافقُونَ عَلَى دَفْعه عَمَّا أَرَادَ بكُمْ منْ تَعْذيب عَلَى نفَاقكُمْ إنْ أَصْرَرْتُمْ عَلَيْه، أَوْ مَنْعه منْ عَفْوه عَنْكُمْ إنْ عَفَا، إنْ أَنْتُمْ تُبْتُمْ منْ نفَاقكُمْ وَكُفْركُمْ، وَهَذَا منَ اللَّه جَلَّ ثَنَاؤُهُ حَثٌّ لهَؤُلَاءِ الأَعْرَاب الْمُتَخَلِّفينَ عَنْ رَسُول اللَّه صلى الله عليه وسلم عَلَى التَّوْبَةِ وَالْمُرَاجَعَةِ إِلَى أَمْرِ اللَّه في طَاعَة رَسُوله صلى الله عليه وسلم، يَقُولُ لَهُمْ: بَادرُوا بالتَّوْبَة منْ تَخَلُّفكُمْ عَنْ رَسُول اللَّه صلى الله عليه وسلم، فَإنَّ اللَّه يَغْفرُ للتَّائبينَ، «وَكَانَ اللَّه غَفُورًا رَحيمًا»، أي وَلَمْ يَزَل اللَّه ذَا عَفْو عَنْ عُقُوبَة التَّائبينَ إلَيْه منْ ذُنُوبهمْ وَمَعَاصيهمْ منْ عبَاده، وَذَا رَحْمَة بهمْ أَنْ يُعَاقبَهُمْ عَلَى ذُنُوبهمْ بَعْدَ تَوْبَتهمْ منْهَا. (جامع البيان ٢٦/ ٧٩).

وَهَذه الْآيَةُ كَقَوْله تَعَالَى: « إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَٱعْتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا » (النساء: ١٤٥- ١٤٧)، وَقَوْله تَعَالَى: « لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ » (آل عمران: ١٢٧- ١٢٩)، وَالْآيَاتُ في الْحَثِّ عَلَى التَّوْبَة وَالتَّرْغيب فيهَا وَالنَّهْي عَن الْيَأْس وَالْقُنُوط منْ رَحْمَة اللَّه كَثيرَةٌ، تَشْمَلُ

كُلَّ طَوَائف الْفَسَقَة وَالْعُصَاة، فَهَنِيئًا «لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ» (طه: ٨٢).

غَزْوَةُ خَيْبَرَ:

هَـذَا اسْـتـئْـنَـافٌ ثَـانٍ بَعْدَ قَوْله: «سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا. وَهُوَ أَيْضًا إعْلَامٌ للنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم بِمَا سَيَقُولُهُ الْمُخَلَّفُونَ عَنِ الْحُدَيْبِيَة يَتَعَلَّقُ بِتَخَلُّفِهِمْ عَـنِ الْحُـدَيْـبِـيَـة وَعُـذْرِهِـمُ الْكَاذِب، وَأَنَّهُمْ سَيَنْدَمُونَ عَلَى تَخَلُّفِهِمْ حِـينَ يَـرَوْنَ اجْتِنَاءَ أَهْلِ الْحُدَيْبِيَة ثَمَرَةَ غَزْوِهِمْ، وَيَتَضَمَّنُ تَأْكِيدَ تَكْذِيبِهِمْ فِي اعْتذَارِهِمْ عَنِ التَّخَلُّفِ بِأَنَّهُمْ حِينَ يَعْلَمُونَ أَنَّ هُنَالِكَ مَغَانِمَ مِنْ قِتَالٍ غَيْرِ شَدِيدٍ يَحْرِصُونَ عَلَى الْخُرُوجِ وَلَا تَشْغَلُهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَهَالِيهِمْ، فَلَوْ كَانَ عُذْرُهُمْ حَقًا لَمَا حَرَصُوا عَلَى الْخُرُوجِ إذَا تَوَقَّعُوا الْمَغَانِمَ وَلَأَقْبَلُوا عَلَى الاشْتِغَالِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ.

وَلِكَوْنِ هَذِه الْمَقَالَة صَدَرَتْ مِنْهُمْ عَنْ قَرِيحَةٍ وَرَغْبَةٍ لَمْ يُؤْتَ مَعَهَا بِمَجْرُورِ «لَكَ» كَمَا أُتِيَ بِه فِي قَوْلَه: «سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ» آنِفًا، لِأَنَّ هَذَا قَوْلٌ رَاغِبٌ صَادِقٌ غَيْرُ مُزَوَّرٍ لِأَجْلِ التَّرْوِيجِ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، وَاسْتُغْنِيَ عَنْ وَصْفِهِمْ بِأَنَّهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ لِأَنَّ تَعْرِيفَ الْمُخَلَّفُونَ تَعْرِيفُ الْعَهْد، أَيِ الْمُخَلَّفُونَ الْمَذْكُورُونَ.

وَقَـوْلُـهُ: «إذَا انْطَلَقْتُمْ إلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا» مُتَعَلِّقٌ بِـ «سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ» وَلَيْسَ هُوَ مَقُولَ الْقَوْلِ. وَ «إذَا» ظَرْفٌ لِلْمُسْتَقْبَل، وَوُقُوعُ فِعْل الْمُضِيِّ بَعْدَهُ دُونَ الْمُضَارِعِ مُسْتَعَارٌ لِمَعْنَى التَّحْقِيق، وإذَا قَرِينَةٌ عَلَى ذَلكَ لِأَنَّهَا خَاصَّةٌ بِالزَّمَنِ الْمُسْتَقْبَل.

وَالْمُرَادُ بِالْمَغَانِم فِي قَوْلِه: «إذَا انْطَلَقْتُمْ إلَـى مَـغَـانِمَ» الْخُـرُوجُ إلَى غَـزْوَةِ خَيْبَرَ، فَأَطْلَقَ عَلَيْهَا اسْمُ مَغَانِم مَجَازًا لِعَلَاقَة الأَوَّل، مِثْل إطْلَاقِ خَمْرًا فِي قَوْلِه: «إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًاۖ» (يُوسُف: ٣٦). وَفِي هَذَا الْمَجَاز إيمَاءٌ إلَى أَنَّهُمْ مَنْصُورُونَ فِي غَزْوَتِهِمْ.

وَذَلِـكَ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم لَمَّا رَجَعَ مِنَ الْحُدَيْبِيَة إلَى الْمَدِينَة أَقَامَ شَهْرَ ذِي الْحِجَّة سَنَةَ سِت، وَأَيَّامًا مِنْ مُحَرَّم سَنَةَ سَبْع، ثُمَّ خَرَجَ إلَى غَزْوَةِ خَيْبَرَ، وَرَامَ الْمُخَلَّفُونَ عَنِ الْحُدَيْبِيَة أَنْ يَخْرُجُوا مَعَهُ فَمَنَعَهُمْ لِأَنَّ اللهَ جَعَلَ غَزْوَةَ خَيْبَرَ غَنِيمَةً لِأَهْلِ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ خَاصَّةً إذْ وَعَدَهُمْ بِفَتْحٍ قَرِيبٍ. (التحرير والتنوير ٢٦/ ١٦٦و١٦٧)

دُعَاءُ الرَّسُولِ لَمَّا أَشْرَفَ عَلَى خَيْبَرَ:

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ رَحِمَهُ اللهُ: حَدَّثَنِي مَنْ لَا أَتَّهِمُ، عَنْ عَطَاء ابْنِ أَبِي مَـرْوَانَ الأَسْلَمِيِّ، عَنْ أَبِيه، عَنْ أَبِي مُعَتِّبِ بْنِ عَمْرو: أَنَّ رَسُـولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم لَمَّا أَشْرَفَ عَلَى خَيْبَرَ قَالَ لِأَصْحَابِه وَأَنَا فِيهِمْ: قِفُوا، ثُمَّ قَـالَ: اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَمَا أَظْلَلْنَ، وَرَبَّ الأَرَضِينَ وَمَا أَقْلَلْنَ، وَرَبَّ الشَّيَاطِينِ وَمَا أَضْلَلْنَ، وَرَبَّ الرِّيَاحِ وَمَا أَذْرَيْـنَ، فَإنَّا نَسْأَلُكَ خَـيْرَ هَـذِه الْقَرْيَة وَخَـيْرَ أَهْلِهَا وَخَـيْرَ مَا فِيهَا، وَنَـعُـوذُ بِـكَ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ أَهْلِهَا وَشَرِّ مَا فِيهَا، أَقْـدِمُـوا بِسْمِ الله. قَـالَ: وَكَـانَ يَقُولُهَا عَلَيه السلام لِكُلِّ قَرْيَة دَخَـلَـهَا. (حـديـث حسن: فقه السيرة:٢٩٥).

فِرَارُ أَهْلِ خَيْبَرَ لَمَّا رَأَوْا الرَّسُولَ صلى الله عليه وسلم:

قَـالَ ابْـنُ إسْـحَـاقَ رَحِـمَـهُ اللهُ: وَحَدَّثَنِي مَنْ لَا أَتَّهِمُ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِك رضي الله عنه قَـالَ: كَـانَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم إذَا غَزَا قَوْمًا لَمْ يُغِرْ عَلَيْهِمْ حَتَّى يُصْبِحَ، فَإنْ سَمِعَ أَذَانًا أَمْسَكَ، وَإنْ لَمْ يَسْمَعْ أَذَانًا أَغَارَ. فَنَزَلْنَا خَيْبَرَ لَيْلًا، فَبَاتَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم حَتَّى إذَا أَصْبَحَ لَمْ يَسْمَعْ أَذَانًا، فَرَكِبَ وَرَكِبْنَا مَعَهُ، فَرَكِبْتُ خَلْفَ أَبِي طَلْحَةَ، وَإنَّ قَدَمِي لَتَمَسُّ قَدَمَ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم، وَاسْتَقْبَلْنَا عُمَّالَ خَيْبَرَ غَادِينَ، قَدْ خَرَجُوا بِمَسَاحِيهِمْ وَمَكَاتِلِهِمْ، فَلَمَّا رَأَوْا رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَالْجَيْشَ، قَالُوا: مُحَمَّد وَالْخَمِيس مَعَهُ! فَـأَدْبَـرُوا هُـرَّابًا، فَـقَـالَ رَسُـولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: اللهُ أَكْبَرُ، خَرِبَتْ خَيْبَرُ، إنَّا إذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ.

مَنَازِلُ الرَّسُول صلى الله عليه وسلم فِي طَرِيقِه إلَى خَيْبَرَ:

لَمَّـا سَمِعَتْ غطفان بِمَـنْـزِلِ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم مِنْ خَيْبَرَ جَمَعُوا لَهُ، ثُمَّ خَرَجُوا لِيُظَاهِرُوا يَهُودَ عَلَيْه، حَتَّى إذَا سَارُوا مَنْقَلَةً سَمِعُوا خَلْفَهُمْ فِي أَمْوَالِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ حِسًّا، ظَنُّوا أَنَّ الْقَـوْمَ قَـدْ خَالَفُوا إلَيْهِمْ، فَرَجَعُوا عَلَى أَعْقَابِهِمْ، فَأَقَامُوا فِي أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، وَخَلَّوْا بَيْنَ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم وَبَيْنَ خَيْبَرَ.

وَتَدَنَّى رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم الأَمْوَالَ يَأْخُذُهَا مَالًا

مَالًا، وَيَفْتَتِحُهَا حِصْنًا حِصْنًا، فَكَانَ أَوَّلَ حُصُونِهِمْ افْتُتِحَ حِصْنُ نَاعِم، وَعِنْدَهُ قُتِلَ مَحْمُودُ بْنُ مَسْلَمَةَ، أُلْقِيَتْ عَلَيْه مِنْهُ رحى فَقَتَلَتْهُ، ثُمَّ الْقَمُوصُ، حِصْنُ بَنِي أَبِي الْحُقَيْقِ، وَأَصَابَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم مِنْهُمْ سَبَايَا، مِنْهُنَّ صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيِّ بْنِ أَخْطَبَ، وَكَانَتْ عِنْدَ كِنَانَةَ بْنِ الرَّبِيعِ بْنِ أَبِي الْحُقَيْقِ، وَبِنْتَيْ عَمٍّ لَهَا، فَاصْطَفَى رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم صَفِيَّةَ لِنَفْسِه.

بَقِيَّةُ أَمْرِ خَيْبَر:

وَحَاصَرَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم أَهْلَ خَيْبَرَ فِي حِصْنَيْهِمْ الْوَطِيحِ وَالسُّلَالِم، حَتَّى إِذَا أَيْقَنُوا بِالْهَلَكَةِ، سَأَلُوهُ أَنْ يُسَيِّرَهُمْ وَأَنْ يَحْقِنَ لَهُمْ دِمَاءَهُمْ، فَفَعَلَ. وَكَانَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم قَدْ حَازَ الْأَمْوَالَ كُلَّهَا: الشَّقَّ وَنَطَاةَ وَالْكَتِيبَةَ وَجَمِيعَ حُصُونِهِمْ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ ذَيْنِكَ الْحِصْنَيْنِ. فَلَمَّا سَمِعَ بِهِمْ أَهْلُ فَدَكَ قَدْ صَنَعُوا مَا صَنَعُوا، بَعَثُوا إِلَى رَسُولِ اللَّه صلى الله عليه وسلم يَسْأَلُونَهُ أَنْ يُسَيِّرَهُمْ، وَأَنَّ يَحْقِنَ دِمَاءَهُمْ، وَيُخَلُّوا لَهُ الْأَمْوَالَ، فَفَعَلَ. وَكَانَ فِيمَنْ مَشَى بَيْنَ رَسُولِ اللَّه صلى الله عليه وسلم وَبَيْنَهُمْ فِي ذَلِكَ مُحَيِّصَةُ بْنُ مَسْعُودٍ، أَخُو بَنِي حَارِثَةَ، فَلَمَّا نَزَلَ أَهْلُ خَيْبَرَ عَلَى ذَلِكَ، سَأَلُوا رَسُولَ اللَّه صلى الله عليه وسلم أَنْ يُعَامِلَهُمْ فِي الْأَمْوَالِ عَلَى النِّصْفِ، وَقَالُوا: نَحْنُ أَعْلَمُ بِهَا مِنْكُمْ، وَأَعْمَرُ لَهَا، فَصَالَحَهُمْ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم عَلَى النِّصْفِ، عَلَى أَنَّا إِذَا شِئْنَا أَنْ نُخْرِجَكُمْ أَخْرَجْنَاكُمْ، فَصَالَحَهُ أَهْلُ فَدَكَ عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ، فَكَانَتْ خَيْبَرُ فَيْئًا بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، وَكَانَتْ فَدَكُ خَالِصَةً لِرَسُولِ اللَّه صلى الله عليه وسلم لِأَنَّهُمْ لَمْ يَجْلِبُوا عَلَيْهَا بِخَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ رَحِمَهُ اللَّه: فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم مِنْ خَيْبَرَ انْصَرَفَ إِلَى وَادِي الْقُرَى، فَحَاصَرَ أَهْلَهُ لَيَالِيَ، ثُمَّ انْصَرَفَ رَاجِعًا إِلَى الْمَدِينَةِ. (سيرة ابن هشام ت السقا ٣/ ٣٤٢-٣٥٣).

فَقَوْلُهُ تَعَالَى: «سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّه مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا»:

قَالَ الطَّبَرِيُّ رَحِمَهُ اللَّه: يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لِنَبِيِّه مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم: سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ فِي أَهْلِيهِمْ عَنْ صُحْبَتِكَ إِذَا سِرْتَ مُعْتَمِرًا تُرِيدُ بَيْتَ اللَّه الْحَرَامَ، إِذَا انْطَلَقْتَ أَنْتَ وَمَنْ صَحِبَكَ فِي سَفَرِكَ ذَلِكَ إِلَى مَا أَفَاءَ اللَّه عَلَيْكَ وَعَلَيْهِمْ مِنَ الْغَنِيمَةِ «لِتَأْخُذُوهَا» وَذَلِكَ مَا كَانَ اللَّه وَعَدَ أَهْلَ الْحُدَيْبِيَةِ مِنْ غَنَائِمِ خَيْبَرَ، «ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ» إِلَى خَيْبَرَ، فَنَشْهَدَ مَعَكُمْ قِتَالَ أَهْلِهَا، «يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّه» يَقُولُ: يُرِيدُونَ أَنْ يُغَيِّرُوا وَعْدَ اللَّه الَّذِي وَعَدَ أَهْلَ الْحُدَيْبِيَةِ، وَذَلِكَ أَنَّ اللَّه جَعَلَ غَنَائِمَ خَيْبَرَ لَهُمْ، وَوَعَدَهُمْ ذَلِكَ عِوَضًا مِنْ غَنَائِمِ أَهْلِ مَكَّةَ إِذَا انْصَرَفُوا عَنْهُمْ عَلَى صُلْحٍ، وَلَمْ يُصِيبُوا مِنْهُمْ شَيْئًا. «قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا»: قُلْ- يَا نَبِيَّنَا- لِهَؤُلَاءِ الْمُخَلَّفِينَ عَنِ الْمَسِيرِ مَعَكَ: لَنْ تَتَّبِعُونَا إِلَى خَيْبَرَ إِذَا أَرَدْنَا السَّيْرَ إِلَيْهِمْ لِقِتَالِهِمْ «كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّه مِنْ قَبْلُ» يَقُولُ: هَكَذَا قَالَ اللَّه لَنَا مِنْ قَبْلِ مَرْجِعِنَا إِلَيْكُمْ، إِنَّ غَنِيمَةَ خَيْبَرَ لِمَنْ شَهِدَ الْحُدَيْبِيَةَ مَعَنَا، وَلَسْتُمْ مِمَّنْ شَهِدَهَا، فَلَيْسَ لَكُمْ أَنْ تَتَّبِعُونَا إِلَى خَيْبَرَ، لِأَنَّ غَنِيمَتَهَا لِغَيْرِكُمْ. «فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا» أَنْ نُصِيبَ مَعَكُمْ مَغْنَمًا إِنْ نَحْنُ شَهِدْنَا مَعَكُمْ، فَلِذَلِكَ تَمْنَعُونَنَا مِنَ الْخُرُوجِ مَعَكُمْ «بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا»:

يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لِنَبِيِّه صلى الله عليه وسلم وَأَصْحَابِه: مَا الْأَمْرُ كَمَا يَقُولُ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ مِنْ أَنَّكُمْ إِنَّمَا تَمْنَعُونَهُمْ مِنَ اتِّبَاعِكُمْ حَسَدًا مِنْكُمْ لَهُمْ عَلَى أَنْ يُصِيبُوا مَعَكُمْ مِنَ الْعَدُوِّ مَغْنَمًا، بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ عَنِ اللَّه مَا لَهُمْ وَعَلَيْهِمْ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ إِلَّا قَلِيلًا يَسِيرًا، وَلَوْ عَقَلُوا ذَلِكَ مَا قَالُوا لِرَسُولِ اللَّه وَالْمُؤْمِنِينَ بِه، وَقَدْ أَخْبَرُوهُمْ عَنِ اللَّه تَعَالَى ذِكْرُهُ أَنَّهُ حَرَمَهُمْ غَنَائِمَ خَيْبَرَ، إِنَّمَا تَمْنَعُونَنَا مِنْ صُحْبَتِكُمْ إِلَيْهَا لِأَنَّكُمْ تَحْسُدُونَنَا. (جامع البيان ٢٦/٧٩-٨٢).

وَالْمُرَادُ بِهَذَا الْقَلِيلِ الَّذِي يَفْقَهُونَهُ هُوَ عِلْمُ الدُّنْيَا، أَمَّا عِلْمُ الدِّينِ وَالْآخِرَةِ فَلَا نَصِيبَ لَهُمْ فِيه، كَمَا قَالَ تَعَالَى: «وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ»(الروم: ٦- ٧).

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

التطبيق المعاصر للزكاة

أحكام وحساب زكاة الركاز والثروة المعدنية والبحرية

إعداد **د. حسين حسين شحاتة**
الأستاذ بجامعة الأزهر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فإن من الأرزاق التي ساقها الله لعباده المعادن المدفونة في باطن الأرض، والأشياء التي فوقها، وما يستخرج من أعماق البحار والأنهار والمحيطات، فسبحانه وتعالى المالك لكل شيء، والمعطي لكل شيء، هو القائل في كتابه الكريم: «ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ» (طه: ٥-٦).

وهذا الرزق يستوجب شكر الله، وتجب عليه الزكاة، وأدلة ذلك من الكتاب الكريم عموم الآية الكريمة: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ » (البقرة: ٢٦٧)، والدليل من السنة قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "وفي الركاز الخمس" (رواه الجماعة).

ولقد ظهرت في الآونة المعاصرة نماذج من الأنشطة والمشروعات المرتبطة بالركاز والمعادن لم تكن موجودة في صدر الدولة الإسلامية منها على سبيل المثال:

- **نشاط استخراج المعادن من باطن الأرض وتصنيعها.**
- **نشاط استغلال المحاجر ونقلها من باطن الأرض ومن فوقها.**
- **نشاط صيد الأسماك وحيوانات البحار والأنهار.**
- **نشاط استخراج الأحجار الكريمة والأعشاب من أعماق البحار والأنهار.**

ولقد أثيرت مجموعة من التساؤلات حول الأموال المستثمرة في هذه الأنشطة وعوائدها من حيث التكييف الفقهي وأسس حساب زكاتها، وهذا ما سوف نتناوله بالتفصيل في هذا الفصل مع عرض نماذج تطبيقية.

أحكام زكاة الركاز:

يقصد بالركاز: الشيء المدفون في باطن الأرض، مثل الذهب والفضة والماس والنحاس والرصاص ....، ونحو ذلك، وتجب فيه الزكاة إذا توافرت شروط الخضوع فيها

ويحكم حساب زكاة الركاز الأسس الآتية:

- يشمل الركاز ما يستخرج من باطن الأرض من معادن وأشياء لها قيمة ومنفعة معتبرة شرعاً، ويدخل في نطاق ذلك الكنوز وما يستخرج من البحار والأنهار والمحيطات من أسماك وأحجار ومعادن.
- تجب الزكاة فور الحصول عليه إذا كان متكامل النماء، ويمكن التصرف فيه بحالته الخام، أما إذا كان يستلزم عمليات صناعية، فيطبق عليه زكاة نشاط الصناعة.
- يُقوَّم الناتج من الركاز، ويخصم من قيمته النفقات التي أنفقت من أجل الحصول عليه، قياساً على زكاة الزروع والثمار.
- يقدر نصاب الركاز بما يعادل ٨٥ جراماً من الذهب الخالص حسب الأرجح من آراء الفقهاء، وهناك من الفقهاء من يرى أنه لا نصاب في الكنز المدفون، ولكن الرأي الأول هو الأقوى، وسوف نأخذ به.
- سعر زكاة الركاز ٢٠٪ ودليل ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم: وفي الركاز الخمس (رواه الجماعة)، أو تصنيع الركاز والمعادن فيزكى بنسبة ٢,٥٪ قياساً على زكاة الصناعة.

ومن المسائل التي اختلف الفقهاء عليها، هي مدى جواز خصم نفقات الاستخراج والنقل والتسويق؟ فيرى البعض أن الزكاة ٢٠٪ على الناتج الإجمالي، ويرى البعض ١٠٪ على الناتج الصافي، وكان يقصد به في ذلك الزمن الشيء المدفون ولم ينفق عليه أي شيء مثل الكنوز، أمّا في الوقت المعاصر يستوجب استخراج المعادن نفقات باهظة فالرأي الحديث هو جواز خصم تلك النفقات، وهذا الرأي هو الذي نميل إليه ونطبقه.

أحكام وحساب زكاة نشاط المحاجر:

يعتبر نشاط المحاجر من الأنشطة الرئيسية في مجال التشييد والبناء ونحوها، وتتطلب استثمارات كبيرة، ويدخل هذا النشاط في مجال الثروة المعدنية، ويخضع للزكاة حسب الأدلة الشرعية السابق بيانها في زكاة الركاز والتي تتلخص في الآتي:

(١) لا تجب الزكاة على الأصول الثابتة التي تستخدم في استخراج ونقل مستخرجات المحاجر مثل: الآلات والماكينات والحفارات والسيارات وما في حكم ذلك، لأنها من عروض القنية المعفاة من الزكاة.

(٢) يدخل في نطاق زكاة المحاجر القيمة البيعية للمستخرج من المحجر من خامات مثل: الحصى والرمل والطَّفْلة والرخام والجرانيت... وهذا يمثل الأموال الزكوية.

(٣) يخصم من الأموال الزكوية نفقات الاستخراج والتنقية والتهيئة والنقل...، وكذلك مصروفات التسويق والمصروفات الإدارية.. وهذا يمثل النفقات الواجبة الخصم.

(٤) يمثل وعاء الزكاة الفرق بين قيمة الإنتاج خلال المرحلة (الأموال الزكوية) بند (٢)، والنفقات الواجبة الخصم بند (٣).

(٥) يقدر نصاب زكاة نشاط المحاجر ما يعادل ٨٥ جراماً من الذهب الخالص، فإذا وصل الوعاء النصاب تحسب الزكاة.

(٦) سعر زكاة نشاط المحاجر ١٠٪، حسب الرأي الراجح، وهناك من الفقهاء من يرى أن يكون سعر الزكاة ٢,٥٪.

(٧) مقدار الزكاة = وعاء الزكاة (بند (٤)) × سعر الزكاة (بند (٦)).

بعد حساب الزكاة وفق الأسس السابقة، توزع على الشركاء في حالة شركات الأشخاص، أو توزع على الأسهم في حالة شركات الأموال.

ففي ضوء البيانات والمعلومات السابقة تحسب الزكاة كما يلي:

- لا تجب على الأصول الثابتة المستخدمة في النشاط زكاة لأنها من عروض القُنْيَة التي لا تخضع للزكاة.
- يحسب وعاء الزكاة عن طريق طرح التكاليف والمصروفات من قيمة الإنتاج خلال الحول وهذا يمثل صافي قيمة المنتج.
- تحسب الزكاة على أساس ١٠٪ من الصافي قياساً على زكاة الزروع والثمار.
- يحدد نصيب السهم من الزكاة عن طريق قسمة مقدار الزكاة على الشركة على عدد الأسهم.

أحكام وحساب زكاة نشاط المعادن الخام المستخرجة:

في الوقت المعاصر، تتخصص بعض الشركات في الكشف عن المعادن من باطن الأرض ومن قاع البحار والمحيطات، وتجرى عليها بعض عمليات التنظيف والتصنيع وتبيعها بحالتها الخام بدون أن تجرى عليها عمليات تصنيعية.

ولقد اختلف أراء الفقهاء حول التكييف الفقهي لمثل هذا النشاط، فمنهم من يرى تطبيق أحكام زكاة الركاز، ومنهم من يرى تطبيق أحكام زكاة الصناعة، والرأي الذي نميل إليه ما دامت أنه لم تتم عمليات تصنيع على المعدن المستخرج وما تم هو عمليات التنظيف والصقل والتهيئة للبيع فقط فيطبق عليه أحكام زكاة الركاز السابق بيانها في البند السابق وتحسب الزكاة على منوال زكاة نشاط المحاجر.

أحكام وحساب زكاة صيد الأسماك ونحوها.

من نعم الله عز وجل على مخلوقاته الأنهار والبحار والمحيطات والبحيرات، فمنها يصطاد الناس الأسماك والحيوانات، ومن قاعها يستخرج اللؤلؤ والمرجان والأحجار والأعشاب، وعلى سطحها تجرى الفلك وما في حكمها، لتنقل الناس والدواب، لقد عبر القرآن عن هذه النعم بقول الله عز وجل: « وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ » (النحل: ١٤).

ومن طرق شكر الله على هذه النعمة أداء الزكاة على الكسب من استغلال تلك الأشياء ومنها صيد الأسماك والحيوانات.

والتكييف الفقهي لزكاة هذا النشاط هو خضوعه لأحكام زكاة المستغلات على النحو السابق بيانه، إذ تجب الزكاة على قيمة الإنتاج مخصومًا منه كافة التكاليف والمصروفات، فإن وصل الصافي النصاب، تحسب عليه الزكاة بنسبة ١٠٪ من الصافي، ويرى الأحناف لا يجب فيه الزكاة، ويرى فريق من الفقهاء المعاصرين أن تكون نسبة الزكاة ٥٪، وكلها اجتهادات نقدرها، والرأي الذي نسير عليه هو القياس على زكاة المستغلات.

ملاحظة:

هناك من الفقهاء من يرى أن يكون سعر الزكاة ٥٪ على الإجمالي بدون خصم النفقات، ومنهم من يرى أن يكون سعر الزكاة ٥٪ على الصافي بعد خصم النفقات، والرأي الذي نميل إليه هو أن يكون سعر الزكاة ١٠٪ بعد خصم النفقات والديون قياساً على زكاة العسل والزروع والثمار بدون كلفة.

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

من أخلاق أهل القرآن

تعليم القرآن

إعداد د. أسامة صابر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد: روى البخاري في صحيحه عن عثمان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (خيركم من تعلم القرآن وعلمه)، قال: وأقرأ أبو عبد الرحمن السلمي في إمرة عثمان حتى كان الحجّاج، وذاك الذي أقعدني مقعدي هذا (صحيح البخاري-كتاب فضائل القرآن-باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه، حديث رقم ٥٠٢٧).

وفى رواية: (إن أفضلكم مَن تعلَّم القرآن وعلمه) (صحيح البخاري ح٥٠٢٨).

إن القرآن الكريم هو أشرف العلوم، فمن تعلّمه وعمل بما فيه وعلّمه غيره؛ حصلت له الخيرية، ولذا كان دأب أهل القرآن إقراء الناس وتعليمهم.

من آداب مُعلم القرآن:

ذكر الإمام النووي -رحمه الله- جملة من آداب معلم القرآن في كتابه (التبيان في آداب حملة القرآن: ٣٠-٣٨) نختصر منها ما يلي:

- أول ما ينبغي للمقرئ أن يقصد بذلك رضا الله تعالى؛ فلا يريد بتعليمه عرضًا من أعراض الدنيا.
- وأن يتخلق بالمحاسن والأخلاق الطيبة التي ورد الشرع بها من الزهد والورع وطلاقة الوجه، والحلم والصبر، والخشوع والوقار، واتباع السنة.
- أن يحذر من الحسد والرياء والعجب.
- أن يرفق بمن يقرأ عليه، ويرحب به ويحسن إليه، وأن يبذل له النصيحة، ويحب له من الخير ما يحب لنفسه.
- أن يتواضع للمتعلمين ويؤدبهم بالآداب السنية والشيم المرضية.
- أن يفرّغ قلبه حال إقرائهم من الأسباب الشاغلة، ويقدم الأول فالأول، ويتفقد أحوالهم.
- أن لا يذل العلم بل يصونه.

وها هي صفحات من سيرة المقرئين نطالعها من كتاب (معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار) للإمام الذهبي -رحمه الله - طبعة دار الصحابة:

فهذا أبو الدرداء رضي الله عنه: كان إذا صلى الغداة في جامع دمشق، اجتمع الناس للقراءة عليه؛ فكان يجعلهم عشرة عشرة، وعلى كل عشرة عريفًا، ويقف هو في المحراب يرمقهم ببصره، فإذا غلط واحد رجع إلى عريفه، فإذا غلط العريف رجع إلى أبي الدرداء؛ فسأله عن ذلك. (صفحة ٢١).

أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: قال عنه أبو رجاء العطاردي: كان أبو موسى يعلمنا القرآن خمس آيات؛ خمس آيات. (صفحة ٣٩)

أبو عبد الرحمن السلمي: أهدى له عمرو بن حريث هدايا؛ لأنه علَّم ابنه القرآن، فردَّها وقال: إنا لا نأخذ على كتاب الله أجرًا.

وكان عطاء بن السائب يقرأ عليه وهو يمشي، (صفحة ٣٦).

أبو جعفر القارئ أحد القراء العشرة: كان يقوم الليل؛ فإذا أصبح جلس يقرئ الناس، فيقع عليه النوم فيقول لهم: خذوا الحصى فضعوه بين أصابعي ثم ضموها، فكانوا يفعلون ذلك وكان النوم يغلبه، فقال: أراني أنام على هذا، إذا رأيتموني قد نمت فخذوا خصلة من لحيتي فمدوها. (صفحة ٥٣).

حمزة بن حبيب الزيات أحد القراء العشرة: ختم عليه رجل من أهل حلوان من مشاهيرهم، فبعث

إليه بألف درهم، فقال لابنه: قد كنت أظن لك عقلاً، أفآخذ على القرآن أجرًا، أرجو على هذا الفردوس (صفحة ١١٤)

القسط أبو إسحق إسماعيل بن عبد الله بن قسطنطين: قال الشافعي: كان إسماعيل بن عبد الله قارئ أهل مكة، وكان الناس يجيئون بمصاحفهم فيصلحونها بقراءته، وكان يجلس على موضع مرتفع (صفحة ١٤٦).

الكسائي علي بن حمزة أحد القراء العشرة: قال عنه خلف بن هشام: كنت أحضر بين يدي الكسائي وهو يقرأ على الناس، وينقطون مصاحفهم بقراءته عليهم (وهذا قبل ظهور الشكل)، وقال أبو بكر بن الأنباري عنه: كان يتلو القرآن من أوله إلى آخره وهم يسمعون ويضبطون عنه حتى المقاطع والمبادئ (صفحة ١٥١).

بكار بن أحمد بن بكار بن بنان أبو عيسى البغدادي المقرئ: أقرأ القرآن نحوًا من ستين سنة (صفحة ٣٣٥).

عبد الله بن يزيد أبو عبد الرحمن المقرئ شيخ البخاري: لقن الناس كتاب الله إحدى وسبعين سنة (صفحة ١٩٤).

ابن الأخرم محمد بن النضر الدمشقي المقرئ: كان الإقراء صنعته وديدنه مع جلالة قدره؛ وغزير فهمه، وواسع ما يحفظه من التفسير ومعاني القراءات إلى ما كان يعلمه من العربية في وجوه القراءات؛ وكان يذاكر بذلك من يذاكره؛ ويبتدئ من حضره العلم مع حسن خلقه وانبساطه؛ وإعانته من يقرأ عليه بالإشارة بيده وفهمه، وكان يقصد لإتقانه وجمعه للقراءات. (معرفة القراء الكبار، صفحة ٣٢٢).

ابن خليع: علي بن محمد أبو الحسن البغدادي القلانسي الخياط المقرئ قرأ عليه عبد الباقي بن الحسن قال بلغت عليه إلى (الكوثر)، فقال لي: اختم، فختمت، ثم إنه سقط في ذلك اليوم من مكان فكُسِرَ ومات، وهو في الثمانين (معرفة القراء الكبار، صفحة ٣٤١).

الخبازي على بن محمد بن الحسن النيسابوري، شيخ القراء بنيسابور: قال الحاكم: كان من أقرأ الناس؛ وأحسنهم أداء وأكثرهم اجتهادًا في التلقين، بلغني أنه تخرج به أكثر من عشرة آلاف رجل. (صفحة ٤٠١).

الخياط محمد بن أحمد بن علي بن عبد الرزاق أبو منصور البغدادي صاحب كتاب المهذب في القراءات، كان إمام مسجد؛ اعتكف فيه مدة يُعلِّم العميان وينفق عليهم؛ قال السمعاني: رأوه بعد موته فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي بتعليمي الصبيان فاتحة الكتاب. (صفحة ٤٩١).

ابن قيراط سبيع بن المسلم الدمشقي المقرئ الضرير: كان يقرئ الناس تلقينًا وتجويدًا؛ ولما أُقْعِدَ كان يُحمَل إلى الجامع. (صفحة ٤٩٥).

ابن جابر أبو عمر أحمد بن عبد الله الأزدي الإشبيلي المقرئ: أمَّ وأقرأ بمسجده ببلده ستين عامًا، وجاور بالمسجد لا يخرج إلا لحاجة (صفحة ٥٣١).

ابن هذيل علي بن محمد بن علي أبو الحسن البلنسي قال عنه الأبار: كان منقطع القرين في الفضل والدين والورع والزهد، مع العدالة والتواضع والإعراض عن الدنيا؛ والتقلل منها، صوامًا قوامًا، كثير الصدقة، كانت له ضيعة يخرج لتفقُّدها فيصحبه الطلبة؛ فمن سامع ومن قارئ، وهو منشرح لذلك، طويل الاحتمال على فرط ملازمتهم له ليلاً ونهارًا (صفحة ٥٥١).

ابن المقرون: محمد بن أبي محمد بن أبي المعالي البغدادي المقرئ: تصدر للإقراء والتلقين ستين عامًا حتى لقَّن الآباء والأبناء والأحفاد احتسابًا لله، كان لا يأخذ من أحد شيئًا، ويأكل من كسب يمينه، وكان مستجاب الدعوة. (صفحة ٦٠٧).

ومن أعلام المقرئين في العصر الحديث:

الشيخ إبراهيم شحاتة السمنودي رحمه الله: من عمالقة علم القراءات والتجويد؛ صاحب التصانيف البديعة والمنظومات المفيدة، قرأ عليه كبار القراء وشيوخ القراءات، توفي عام ١٤٢٩هـ عن ٩٤ عامًا.

الشيخ أحمد عبد العزيز الزيات رحمه الله: بارك الله في عمره فأقرأ أعوامًا طويلة، وتخرج عليه الكثير من أهل القراءات مع علوّ سنده وإتقانه، وقوة حافظته وحُسن خلقه، توفي عام ١٤٢٤ه عن عمر يناهز التاسعة والتسعين.

الشيخ عامر السيد عثمان رحمه الله: عالم مبرز في القراءات والتجويد والرسم، أقرأ بالقراءات العشر من طريق الشاطبية والدرة والطيبة وتلامذته كثر؛ توفي عام ١٤٠٨هـ.

الشيخة أم السعد محمد علي نجم رحمها الله: فقدت بصرها في صغرها وأمضت قرابة نصف قرن تقرئ الرجال والنساء-صغارًا وكبارًا- القرآن بقراءاته من الثامنة صباحًا إلى الثامنة مساء كل يوم؛ توفيت عام ١٤٢٧هـ عن واحد وثمانين عامًا.

وما ذكرناه إنما هو شيء يسير من سير أعلام المقرئين، ونسأل الله عز وجل أن يجعلنا ممن يتعلم القرآن ويعلمه ابتغاء وجهه الكريم.

شهر الله ومفتتح عام هجري جديد

بقلم

د. مرزوق محمد مرزوق

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، وبعد:

روى الإمام مسلم بسنده إلى حُمَيْد بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَرْفَعُهُ، قَالَ: سُئِلَ: أَيُّ الصَّلَاةِ أَفْضَلُ بَعْدَ الْمَكْتُوبَةِ؟ وَأَيُّ الصِّيَامِ أَفْضَلُ بَعْدَ شَهْرِ رَمَضَانَ؟ فَقَالَ: "أَفْضَلُ الصَّلَاةِ، بَعْدَ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ، الصَّلَاةُ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ، وَأَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ شَهْرِ رَمَضَانَ، صِيَامُ شَهْرِ اللَّهِ الْمُحَرَّمِ".

التخريج:

أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الصيام، ح رقم (١١٦٣).

وأخرجه الترمذي في جامعه؛ حديث رقم ٤٤١.

وأخرجه أبو داود في سننه؛ حديث رقم ٢١١٥.

فائدة في إسناد الحديث:

قَوْلُهُ: (عَنْ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحِمْيَرِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ) قال الإمام النووي في شرحه على مسلم (٨/٢٢٧): "اعْلَمْ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ يَرْوِي عَنْهُ اثْنَانِ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَحَدُهُمَا هَذَا الْحِمْيَرِيُّ، وَالثَّانِي حُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ الزُّهْرِيُّ). قَالَ الْحُمَيْدِيُّ فِي الْجَمْعِ بَيْنَ الصَّحِيحَيْنِ: كُلُّ مَا فِي الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ حُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ فَهُوَ الزُّهْرِيُّ إِلَّا فِي هَذَا الْحَدِيثِ خَاصَّةً حَدِيثِ أَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ شَهْرِ رَمَضَانَ شَهْرُ اللَّهِ الْمُحَرَّمُ وَأَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ صَلَاةُ اللَّيْلِ؛ فَإِنَّ رَاوِيَهُ حُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحِمْيَرِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ. وَهَذَا الْحَدِيثُ لَمْ يَذْكُرْهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ وَلَا ذِكْرَ لِلْحِمْيَرِيِّ فِي الْبُخَارِيِّ أَصْلًا وَلَا فِي مُسْلِمٍ إِلَّا فِي هَذَا الْحَدِيثِ".

المعنى العام

يُرغِّبُ النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث في الإكثار من الصيام في هذا

الشهر، حيث وصفَهُ بأنه أفضل الصيام بعد الفريضة، ووصْفُهُ بذلك يقتضي أفضليته على غيره، وتقديمه على ما سواه من صيام التطوع، وأفضل الصلاة أجرًا بعد الفريضة صلاة قيام الليل.

الشرح:

قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ (أَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ رَمَضَانَ شَهْرُ اللَّهِ الْمُحَرَّمُ) تَصْرِيحٌ بِأَنَّهُ أَفْضَلُ الشُّهُورِ لِلصَّوْمِ، وَقَدْ سَبَقَ الْجَوَابُ عَنْ إِكْثَارِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ مِنْ صَوْمِ شَعْبَانَ دُونَ الْمُحَرَّمِ، وَذَكَرْنَا فِيهِ جَوَابَيْنِ أَحَدُهُمَا لَعَلَّهُ إِنَّمَا عَلِمَ فَضْلَهُ فِي آخِرِ حَيَاته، وَالثَّانِي لَعَلَّهُ كَانَ يَعْرِضُ فِيهِ أَعْذَارٌ مِنْ سَفَرٍ أَوْ مَرَضٍ أَوْ غَيْرِهِمَا.

قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: (وَأَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ صَلَاةُ اللَّيْلِ) فيه دَلِيلٌ لِمَا اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَيْهِ أَنَّ تَطَوُّعَ اللَّيْلِ أَفْضَلُ مِنْ تَطَوُّعِ النَّهَارِ، وَفِيهِ حُجَّةٌ لِأَبِي إِسْحَاقَ الْمَرْوَزِيِّ مِنْ أَصْحَابِنَا وَمَنْ وَافَقَهُ أَنَّ صَلَاةَ اللَّيْلِ أَفْضَلُ مِنَ السُّنَنِ الرَّاتِبَةِ.

وَقَالَ أَكْثَرُ أَصْحَابِنَا الرَّوَاتِبُ أَفْضَلُ؛ لِأَنَّهَا تُشْبِهُ الْفَرَائِضَ، وَالْأَوَّلُ أقوى وأوفق للحديث، والله أعلم. (وينظر شرح النووي على مسلم (٢٢٧/٨)، وعون المعبود شرح سنن أبي داوود ٢٤٢٩).

مما يستفاد من الحديث:

١- المحرم من الأشهر الحرم عمومًا، وفضلها معروف؛ إذ قال الله تعالى: « إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرٗا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوۡمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ حُرُمٞۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُۚ فَلَا تَظۡلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمۡۚ » (التوبة: ٣٦). وعَنْ أبِي بَكْرَة رضي الله عنه أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطَبَ فِي حَجَّة الْوَدَاع، فَقَالَ: " أَلَا إِنَّ الزَّمَان قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِه يَوْم خَلَقَ اللَّه السَّمَاوَات وَالْأَرْض، السَّنَة اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا، مِنْهَا أَرْبَعَة حُرُم، ثَلَاثَة مُتَوَالِيَات: ذُو الْقَعْدَة، وَذُو الْحِجَّة، وَالْمُحَرَّم، وَرَجَب مُضَر الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَان" (أخرجهُ البخاري ١٧٤١، ومسلمٌ ١٦٧٩).

٢- وفي تسميته شهر الله قال الحافظُ ابنُ رجبٍ في " لطائفِ المعارفِ" (ص٨١ – ٨٢) تعليقا على الحديث: "وقد سمى النبي صلى اللهُ عليه وسلم المحرمَ شهرَ اللهِ، وإضافتهُ إلى اللهِ تدلُّ على شرفهِ وفضلهِ، فإن اللهَ تعالى لا يضيفُ إليه إلا خواصَّ مخلوقاته، كما نسبَ محمداً وإبراهيمَ وإسحاقَ ويعقوبَ وغيرَهم من الأنبياءِ صلواتُ اللهِ عليهم وسلامهُ إلى عبوديته، ونسبَ إليه بيتهُ وناقتهُ، ولما كان هذا الشهرُ مختصّاً بإضافتهِ إلى اللهِ تعالى، وكان الصيامُ من بين الأعمالِ مضافاً إلى اللهِ تعالى، فإنهُ لهُ من بين الأعمالِ، ناسبَ أن يختصَّ هذا الشهرُ المضافُ إلى اللهِ بالعملِ المضافِ إليه، المختصِّ به، وهو الصيامُ".ا.هـ.

٣- الندب إلى صيام غالب شهر محرَّم، وقيدت ذلك بالأغلبية أو الأكثرية، مع أن ظاهر الحديث صيامه كله؛ لعدم ورود السنة بذلك، وكما قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم اسْتَكْمَلَ صِيَامَ شَهْرٍ قَطُّ إِلَّا رَمَضَانَ..».

وقد أجاب الإمامُ النووي عن إكثارِ النبي صلى اللهُ عليه وسلم من صومِ شعبان دون المحرم.

وإذا كان الشيء بالشيء يذكر فإنه قد ذهب جمهورُ الفقهاءِ من الحنفيةِ والمالكيةِ والشافعيةِ إلى استحبابِ صومِ الأشهرِ الحرمِ.. إذ قد ثبت عن ابنِ عمرَ أنه كان يصومُ الأشهرَ الحرمَ. أخرجهُ عبدُ الرزاقِ في "المصنف" (٢٩٢/٤)، وإسنادهُ صحيحٌ.

٤- أن الحكم بالأفضلية على عمل من الأعمال، أو قول من الأقوال، أو حال من الأحوال مصدره النص الصحيح الصريح من الكتاب والسنة، يقول ابن عبد البر: "والفضائل لا تُدرك بنظر، ولا مدخل فيها لقياس، فإن الله تعالى مُنْعِم متفضِّل، له أن يتفضل بما شاء، على من يشاء، فيما يشاء من الأعمال، ولا مُعقِّب لحُكْمه، ولا رادّ

لفضله، وبيان ذلك هنا: أنه لولا ورود النص بأفضلية صيام شهر محرَّم، وترتيب مزيد ثواب على صيام بعض أيامه-كعاشوراء- لم يَجُز لنا الحكم بشيء من ذلك.

وعليه فلا يُصار إلى تخصيص شهر من الشهور، أو يوم من الأيام، أو ليلة من الليالي بعبادة معيَّنة إلا بنص. (وينظر وظيفة شهر الله المحرم ليوسف الحمادي).

مسائل تتعلق بصوم المحرم

١- أيهما أفضل صوم المحرم أم صوم شعبان؟

قال الشيخُ ابنُ عثيمين في " الشرح الممتع " (٤٦٧/٦): " واختلف العلماءُ – رحمهم اللهُ – أيهما أفضلُ صوم شهر المحرم، أم صوم شعبان؟

فقال بعضُ العلماءِ: شهرُ شعبانَ أفضلُ؛ لأن النبي صلى اللهُ عليه وسلم كان يصومهُ إلا قليلاً منهُ، ولم يُحفظ عنهُ أنه كان يصومُ شهرَ المحرمِ، لكنهُ حث على صيامه بقوله: " إنهُ أفضلُ الصيامِ بعد رمضان".

قالوا: ولأن صومَ شعبانَ ينزلُ منزلةَ الراتبةِ قبل الفريضةِ، وصومَ المحرمِ ينزلُ منزلةَ النفلِ المطلقِ، ومنزلةُ الراتبةِ أفضلُ من منزلةِ المطلقِ، وعلى كلٍ فهذان الشهران يُسنُ صومهما، إلا أن شعبانَ لا يكملهُ ". اهـ.

٢- سُئل الشيخُ ابنُ عثيمين في " فتاويه " (٢٢/٢٠) سؤالاً نصهُ: " صيامُ شهرِ محرم كله هل فيه فضلٌ أم لا؟ وهل أكونُ مبتدعاً بصيامه؟

فأجاب – رحمهُ اللهُ-: " بعضُ الفقهاءِ يقولون: يُسَنُ صيامُ شهرِ اللهِ المحرمِ كله، ويستدلون بقوله صلى اللهُ عليه وسلم: " أَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ رَمَضَانَ شَهْرُ اللَّهِ الْمُحَرَّمُ"، ولكن لم يرد فيما أعلمُ أنه يصومهُ كله، وأكثر ما يكونُ صيامهُ من الشهورِ بعد رمضان شهر شعبان، كما جاء في الحديثِ الصحيح عن عائشةَ رضي اللهُ عنها، ولا يقالُ لمن صامهُ كلهُ: إنهُ مبتدعٌ؛ لأن الحديثَ المذكورَ قد يحتملُ هذا؛ أعني صيامهُ كله كما ذكرهُ بعضُ الفقهاءِ". اهـ.

٣- وفي فضل صيام عاشوراء:

هو اليوم الذي نجى الله تعالى فيه موسى من الغرق كما في حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ وَجَدَهُمْ يَصُومُونَ يَوْمًا يَعْنِي عَاشُورَاءَ فَقَالُوا: هَذَا يَوْمٌ عَظِيمٌ وَهُوَ يَوْمٌ نَجَّى اللَّهُ فِيهِ مُوسَى وَأَغْرَقَ آلَ فِرْعَوْنَ فَصَامَ مُوسَى شُكْرًا لِلَّهِ. فَقَالَ: أَنَا أَوْلَى بِمُوسَى مِنْهُمْ، فَصَامَهُ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ.

وقال النووي في " المجموع " (٦/٤٣٣-٤٣٤): "... قَالَ أَصْحَابُنَا: عَاشُورَاءُ هُوَ الْيَوْمُ الْعَاشِرُ مِنْ الْمُحَرَّمِ، وَتَاسُوعَاءُ هُوَ التَّاسِعُ مِنْهُ، هَذَا مَذْهَبُنَا، وَبِهِ قَالَ جُمْهُورُ الْعُلَمَاءِ. ودليل فضل صيامه ما ورد عن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: (مَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَحَرَّى صِيَامَ يَوْمٍ فَضَّلَهُ عَلَى غَيْرِهِ إِلَّا هَذَا الْيَوْمَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ، وَهَذَا الشَّهْرَ يَعْنِي شَهْرَ رَمَضَانَ) (أخرجه البخاري في "صحيحه" ٢٠٠٦).

وعَنْ أَبِي قَتَادَةَ مرفوعاً: (... وَصِيَامُ يَوْمِ عَاشُورَاءَ أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ) (أخرجه مسلم في "صحيحه" ١١٦٢).

قال النووي في "المجموع" (٦/٢٨- ٤٣١): " قَالَ إمَامُ الْحَرَمَيْنِ: وَكُلُّ مَا يَرِدُ فِي الْأَخْبَارِ مِنْ تَكْفِيرِ الذُّنُوبِ فَهُوَ عِنْدِي مَحْمُولٌ عَلَى الصَّغَائِرِ دُونَ الْمُوبِقَاتِ؛ هَذَا كَلَامُهُ.

فائدة:

يستحب صوم التاسع والعاشر جميعاً: وهذا لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صام العاشر ونوى صيام التاسع: فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَئِنْ بَقِيتُ إِلَى قَابِلٍ لَأَصُومَنَّ التَّاسِعَ) (أخرجه مسلم في "صحيحه" ١١٣٤).

قال النووي في " المجموع " (٦/٤٣٣- ٤٣٤):

وَذَكَرَ الْعُلَمَاءُ مِنْ أَصْحَابِنَا وَغَيْرِهِمْ فِي حِكْمَةِ اسْتِحْبَابِ صَوْمِ تَاسُوعَاءَ أَوْجُهًا: (أَحَدُهَا) أَنَّ الْمُرَادَ مِنْهُ مُخَالَفَةُ الْيَهُودِ فِي اقْتِصَارِهِمْ عَلَى الْعَاشِرِ،

(الثَّانِي) أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ وَصْلُ يَوْمِ عَاشُورَاءَ بِصَوْمٍ، كَمَا نَهَى أَنْ يُصَامَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ وَحْدَهُ، ذَكَرَهُمَا الْخَطَّابِيُّ وَآخَرُونَ.

(الثَّالِثُ) الِاحْتِيَاطُ فِي صَوْمِ الْعَاشِرِ خَشْيَةَ نَقْصِ الْهِلَالِ، وَوُقُوعِ غَلَطٍ فَيَكُونُ التَّاسِعُ فِي الْعَدَدِ هُوَ الْعَاشِرُ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ. اهـ. (انتهى ملخصًا من لطائف المعارف (١١٣-١٢٠)؛ ونداء الريان: (١/٤٩٨-٥٠٠). ومن شاء الوقوف على أدلة كل حالة فليرجع إليهما).

خامسًا: بدع عاشوراء:

كان مقتل الحسين بن علي بن أبي طالب- رضي الله عنهما- في يوم عاشوراء من شهر المحرم على المشهور. (البداية والنهاية: ٨/١٣٧).

فانقسم الناس إلى طائفتين:

- طائفة تتخذ يوم عاشوراء يوم مأتم وحزن ونياحة، وتظهر فيه شعار الجاهلية من لطم الخدود، وشق الجيوب، والتعزي بعزاء الجاهلية.. وإنشاد قصائد للحزن، ورواية الأخبار التي فيها كذب كثير، والصدق فيها ليس فيه إلا تجديد الحزن والتعصب، وإثارة الشحناء والحرب، وإلقاء الفتن بين أهل الإسلام، والتوسل بذلك إلى سبّ السابقين الأولين.. وشر هؤلاء وضررهم على أهل الإسلام لا يحصيه الرجل الفصيح في الكلام. (مجموع الفتاوى لابن تيمية: (٢٥/١٦٥-١٦٦).

- وطائفة أخرى من الجهال تمذهبت بمذهب أهل السنة، قصدوا غيظ الطائفة الأولى، وقابلوا الفاسد بالفاسد، والكذب بالكذب، والبدعة بالبدعة، فوضعوا الأحاديث في فضائل عاشوراء، والأحاديث في شعائر الفرح والسرور يوم عاشوراء. (الموضوعات من الأحاديث المرفوعات: (٢/٥٦٧)؛ مجموع الفتاوى: (٢٥/١٦٦).

والطائفتان مبتدعتان خارجتان عن السنة. ونحن براء من الفريقين. فأهل السنة يفعلون في هذا اليوم ما أمر به النبي-صلى الله عليه وسلم- من الصوم، ويجتنبون ما أمر به الشيطان من البدع. (الموضوعات: (٢/٥٦٧)؛ المنار المنيف في الصحيح والضعيف: (٨٩).

كذلك لم يرد فيما يفعله الناس في يوم عاشوراء من الكحل، والاغتسال، والحنَّاء، والمصافحة، وطبخ الحبوب، وإظهار السرور، وغير ذلك؛ لم يرد في شيء من ذلك حديث صحيح عن النبي-صلى الله عليه وسلم-، ولا عن أصحابه، ولا استحب ذلك أحد من أئمة المسلمين، ولا الأئمة الأربعة ولا غيرهم، ولا روى أهل الكتب المعتمدة في ذلك شيئًا، لا عن النبي-صلى الله عليه وسلم- ولا الصحابة ولا التابعين، لا صحيحًا ولا ضعيفًا، لا في كتب الصحيح ولا في السنن ولا المسانيد، ولا يعرف شيء من هذه الأحاديث على عهد القرون الفاضلة. (مجموع الفتاوى: ٢٥/١٦٠-١٦١).

ومن حديث التوسعة على الأهل فتخصيص هذا اليوم بهذا بدعة أيضًا: "مَن وسَّع على عياله وأهله يوم عاشوراء، أوسع الله عليه سائر سنته"، قال فيه الألباني: طرقه كلها واهية، وبعضها أشد ضعفًا من بعض. (ضعيف الترغيب والترهيب: ١/٣١٣).

وأما ما يفعلونه اليوم من أن عاشوراء يختص بذبح الدجاج وغيرها، ومن لم يفعل ذلك عندهم فكأنه ما قام بحق ذلك اليوم، وكذلك طبخهم فيه الحبوب، وغير ذلك، ولم يكن السلف رضوان الله عليهم يتعرضون في هذه المواسم ولا يعرفون تعظيمها إلا بكثرة العبادة والصدقة والخير واغتنام فضيلتها، لا بالمأكول، بل كانوا يبادرون إلى زيادة الصدقة وفعل المعروف. (المدخل: ١/٢٨٠).

وللحديث صلة إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

درر البحار في بيان ضعيف الأحاديث القصار

القسم
الثاني

إعداد/ **علي حشيش**

الحلقة (٨٤)

٧٨١- «اللهم إنك أخرجتني من أحبِّ البلاد إليَّ، فأسكُنِّي أحبَّ البلادِ إليك، فأسكنهُ اللهُ المدينة».

الحديث لا يصح: أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/٣) كتاب «الهجرة» من حديث سعد بن سعيد المقبري عن أخيه عن أبي هريرة مرفوعًا، وقال: «رواته مدنيون من بيت أبي سعيد المقبري، فتعقَّبه الإمام الذهبي في «التلخيص» وقال: «لكنه موضوع فقد ثبت أن أحب البلاد إلى الله مكة، وسعد ليس بثقة»». اهـ.

قلتُ: وأخو سعد هو عبد الله، قال الحافظ المزي في «تهذيب الكمال» (٢١٨٩/٨٤/٧): «سعد بن سعيد المقبري روى عن أخيه عبد الله بن سعيد المقبري». اهـ.

قال الإمام الذهبي في «الميزان» (٤٣٥٣/٤٢٩/٢): «عبد الله بن سعيد المقبري واهٍ بمرة، قال ابن معين: ليس بشيء، وقال مرة: ليس بثقة»، وقال الفلاس: «منكر الحديث، متروك»، وقال الدارقطني: «متروك ذاهب»، وقال أحمد: «متروك»، وقال يحيى بن سعيد: «استبان لي كذبه». وقال البخاري: «تركوه» لذلك كله. قال الذهبي: «حديث موضوع».

٧٨٢- «لعن الله المُغَنِّي والمُغَنَّى له».

الحديث لا يصح: أورده الحافظ السخاوي في «المقاصد» (ح٨٦٢)، ونقل أن النووي قال: «إنه لا يصح».

٧٨٣- «مَن اكتحل بالإثمد يوم عاشوراء لم يَرْمَدْ أبدًا».

الحديث لا يصح: أخرجه الإمام ابن الجوزي في «الموضوعات» (٢٠٣/٢) من حديث جويبر عن الضحاك عن ابن عباس مرفوعًا، وعلته جويبر، قال الإمام الذهبي في «الميزان» (١٥٩٣/٤٢٧/١): «جويبر بن سعيد الأزدي البَلْخي صاحب الضحاك، قال ابن معين: ليس بشيء، وقال الجوزجاني: لا يُشتغل به. وقال النسائي والدارقطني وغيرهما: متروك. وأورد له الذهبي هذا الحديث من مناكيره». اهـ. ونقل ابن الجوزي أن الحاكم قال: «أنا أبرأ إلى الله من عهدة جويبر».

قاعدة في أحاديث الاكتحال يوم عاشوراء:

١- الاكتحال يوم عاشوراء لم يُرْوَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه أثر، وهو بدعة ابتدعها قتلة الحسين. قاله ابن الجوزي في «الموضوعات».

٢- قال الإمام ابن القيم في «المنار المنيف» (ح٢٢٤): «وأما أحاديث الاكتحال، والادهان والتطيب يوم عاشوراء فمن وضع الكذابين، وقابلهم آخرون فاتخذوه يوم تألم وحزن، والطائفتان مبتدعتان خارجتان عن السنة.

وأهل السنة يفعلون فيه ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم من الصوم، ويجتنبون ما أمر به الشيطان من البدع». اهـ.

٧٨٤- «مَن وسَّع على عياله يوم عاشوراء لم يزل في سعة سائر سنته».

الحديث لا يصح: أخرجه الإمام الحافظ الطبراني في «المعجم الكبير» (٩٤/١٠) (ح١٠٠٠٧) من حديث الهيصم بن الشداخ عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة، عن عبد الله بن مسعود مرفوعًا، وعلته الهيصم بن الشراخ، قال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (٩٧/٣): «هيصم بن السُّداخ شيخ يروي عن الأعمش الطامات في الروايات لا يجوز الاحتجاج به». ثم أخرج هذا الحديث من طاماته عن هيصم بن الشراخ، وقال الحافظ الهيثمي في «المجمع» (١٨٩/٣): «رواه الطبراني في «الكبير»، وفيه الهيصم بن الشداخ ضعيف جدًّا». وأخرجه ابن الجوزي في «الموضوعات» (٢٠٣/٢) من هذا الطريق.

قاعدة: قال الإمام ابن القيم في «المنار المنيف» فصل (٢٧):

«أحاديث التوسعة يوم عاشوراء والصلاة فيه والتزين وغير ذلك من فضائل لا يصح منها شيء، ولا حديث واحد، ولا يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم غير أحاديث صيامه، وما عداه فباطل». اهـ.

٧٨٥- «مَنْ صلى يومَ عاشوراءَ ما بينَ الظهر والعصر أربعين ركعة، يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب مرة، وآية الكرسي عشر مرات، وقل هو الله أحد إحدى عشرة مرة، والمعوذتين خمس مرات، فإذا سلم استغفر سبعين مرة، أعطاه الله في الفردوس قبة بيضاء...».

الحديث لا يصح: أخرجه ابن الجوزي في «الموضوعات» (١٢٢/٢) من حديث أبي هريرة مرفوعًا، قال ابن الجوزي: هذا حديث موضوع، وكلمات الرسول صلى الله عليه وسلم منزَّهة عن مثل هذا التخليط، والرواة مجاهيل». اهـ. وأورده الإمام الشوكاني في «الفوائد» ص٤٧)، وقال: «هو موضوع ورواته مجاهيل». اهـ.

٧٨٦- «مكتوبٌ على بابِ الجنةِ: لا إله إلاَّ الله محمد رسولُ اللهِ، عليٌّ أخو رسولِ اللهِ قبل أن تُخْلَق السماواتُ والأرض بألفَي عامٍ».

الحديث لا يصح: أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٢٥٦/٧)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٣٨٧/٧)، والحافظ الطبراني في «المعجم الأوسط» (٢٣٤/٦) (ح٥٤٩٤) من حديث جابر بن عبد الله مرفوعًا، وقال: «لم يرو هذا الحديث عن مِسعر إلا أشعث بن عم الحسن بن صالح، ولا عن الأشعث إلا يحيى بن سالم تفرد به زكريا بن يحيى الكتاني». اهـ.

وأخرج الحديث العقيلي في «الضعفاء الكبير» (١٥/٣٣/١) وقال: «أشعث كان له مذهب، ليس ممن يضبط الحديث». اهـ.

ولذلك أخرجه ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٢٣٨/١) (ح٣٧٩)، وقال: «هذا حديث لا يصح». قاعدة: «الأحاديث الواردة في مؤاخاة النبي صلى الله عليه وسلم عليًّا كلها ضعيفة».

الحلقة الخامسة والعشرون

فقه المرأة في الجنائز

إعداد د/عزة محمد رشاد (أم تميم)

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أما بعد: فقد شرعنا-بفضل الله تعالى- في أحكام الجنائز، وذكرنا أنه يحرم على المرأة النياحة على الميت، ويجوز لها البكاء، وأيضًا أوضحنا الخلاف في مسألة هل يعذب الميت بالنياحة عليه أم لا؟ وذكرنا أيضًا تحريم ضرب الخدود وشق الجيوب والدعاء بدعوى الجاهلية والحلق عند المصيبة، ونستكمل ما بدأناه؛ عسى الله تعالى أن ينفع بها ويجعلها في ميزان حسناتنا.

أولاً: الإحداد على الميت:

معنى الإحداد: إحداد المرأة على زوجها بترك الزينة، وقيل: هو إذا حزنت عليه، ولبست ثياب الحزن وتركت الزينة، قال أبو عبيد: ونرى أنه مأخوذ من المنع، لأنها قد منعت ذلك. (لسان العرب ٢/٣٥٦).

لا يحل لامرأة أن تحد على ميت فوق ثلاث ليال إلا إذا كان الميت زوجها فتحد عليه أربعة أشهر وعشرًا. قال تعالى: «وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا» (البقرة: ٢٣٤).

عن أم حبيبة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا يحل لامرأة مسلمة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد فوق ثلاثة أيام، إلا على زوجها أربعة أشهر وعشرًا» أخرجه البخاري (٥٣٣٩).

وعن أم عطية رضي الله عنها قالت: «كنا ننهى أن نحد على ميت فوق ثلاثة، إلا على زوج أربعة أشهر وعشرًا، ولا نكتحل ولا نتطيب ولا نلبس ثوبًا مصبوغًا إلا ثوب عصب، وقد رخص لنا عند الطهر إذا اغتسلت إحدانا من محيضها في نبذة من كست أظفار، وكنا نُنهَى عن اتباع الجنائز» (أخرجه البخاري ٥٣٤١).

ثوب عصب: برود يمنية يعصب غزلها أي: يجمع ويشد ثم يصبغ وينسج فيأتي موشيًا لبقاء ما عصب منه أبيض لم يأخذ صبغ. (اللسان ٦/٢٧٥).

قال النووي: القسط والأظفار نوعان معروفان من البخور، وليس من مقصود الطيب، رخص فيه للمغتسلة من الحيض لإزالة الرائحة الكريهة. (فتح الباري ٩/٤٠٢).

وإن تركت المرأة الإحداد على غير الزوج إرضاء للزوج جاز لها ذلك.

والدليل على الجواز: ما روي عن أنس بن مالك، قال: كان ابن لأبي طلحة يشتكي، فخرج أبو طلحة، فقبض الصبي، فلما رجع أبو طلحة قال: ما فعل ابني؟ قالت أم سليم: هو أسكن مما كان، فقربت إليه العشاء فتعشى، ثم أصاب منها، فلما فرغ قالت: واروا الصبي، فلما أصبح أبو طلحة أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره، فقال: «أعرستم الليلة؟» قال: نعم، قال: «اللهم بارك لهما» فولدت غلامًا. (أخرجه البخاري ٥٤٧٠، ومسلم ٢٣-٢١٤٤).

ثانيًا: هل للرجل أن يغسل زوجته وللمرأة أن تغسل زوجها؟

عن عائشة قالت: «رجع إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم من جنازة بالبقيع وأنا أجد صداعًا في رأسي وأنا أقول: وارأساه، قال: «ما ضرك لو مت قبلي فغسلتك وكفنتك ثم صليت عليك ودفنتك» قلت: لكني أو لكأني بك والله لو فعلت ذلك لقد رجعت إلى بيتي فأعرست فيه ببعض نسائك. قالت: فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بدئ بوجعه الذي مات فيه. أخرجه أحمد في مسنده (٢٦٤٣٣) والبيهقي في السنن الكبرى (٦٧٥٨) وصحيح سنن ابن ماجه (١٤٦٥).

عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: لو كنت استقبلت من أمري ما استدبرت ما غسل النبي صلى الله عليه وسلم غير نسائه. (صحيح أبي داود (٣١٤١) والطيالسي (١٦٣٤) والبيهقي (٦٧١٧)، وأحمد (٢٦٨٣٧).

ذهب أكثر أهل العلم إلى جواز غسل الرجل زوجته وغسل المرأة زوجها، وحجتهم أحاديث الباب، وأنه يبعد عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم أن تتمنى شيئًا لا يجوز، وأيضًا لم يرد نص يمنع الرجل من تغسيل زوجته ولا المرأة من تغسيل زوجها، فالأصل في المسألة الإباحة حتى يأتي نص بالتحريم، وهذا مذهب الشافعية ومالك وأحمد وأهل الظاهر.

وخالفهم في ذلك الحنفية، قالوا: ليس للزوج غسل زوجته لأن الزوجية زالت فأشبه المطلقة البائن ولها أن تغسل الزوج.

أقوال أهل العلم في المسألة:

جاء في مختصر خليل (٢٤٨/٢، ٢٤٩): قال مالك: يغسل أحد الزوجين صاحبه وإن كان ثَمَّ غيره من الرجال والنساء ويستر كل واحد عورة صاحبه، وأجاز ابن حبيب أن يغسل كل واحد منهما صاحبه بادي العورة، وقال اللخمي: الأمر في ذلك واسع.

وجاء في المجموع (١٢٢/٥): نقل ابن المنذر في كتابيه الإجماع والإشراف والعبدري وآخرون إجماع المسلمين أن للمرأة غسل زوجها، وقد قدمنا رواية عن أحمد بمنعه، وأما غسله زوجته فجائز عندنا وعند جمهور العلماء، حكاه ابن المنذر عن علقمة وجابر بن زيد وعبد الرحمن بن الأسود وسليمان بن يسار وأبي سلمة بن عبد الرحمن وقتادة وحماد بن أبي سليمان ومالك والأوزاعي وأحمد وإسحاق وهو مذهب عطاء وداود وابن المنذر.

قال ابن حزم في المحلى (٤٠٥/٣) مسألة ٦١٧: "وجائز أن تغسل المرأة زوجها وأم الولد سيدها وإن انقضت العدة بالولادة، ما لم تنكحا، فإن نكحتا لم يحل لهما غسله إلا كالأجنبيات، وجائز للرجل أن يغسل امرأته وأم ولده وأمته، ما لم يتزوج حريمتها أو يستحل حريمتها بالملك، فإن فعل لم يحل له غسلها، وليس للأمة أن تغسل سيدها أصلا؛ لأن ملكها بموته انتقل إلى غيره، برهان ذلك قول الله تعالى: «وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ» (النساء: ١٢)؛ فسماها زوجه بعد موتها وهي-إن

كانا مسلمين- امرأته في الجنة وكذلك أم ولده وأمته وكان حلالاً له رؤية أبدانهن في الحياة وتقبيلهن ومسهن، فكل ذلك باق على التحليل، فمن ادعى تحريم ذلك بالموت فقوله باطل إلا بنص ولا سبيل له إليه.

جاء في الروضة الندية (١/٢٣٣) بتصرف: جواز غسل أحد الزوجين للآخر، أولى لقوله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها: «ما ضرك لو متِّ قبلي فغسلتك» وساق حديث عائشة كما ذكرناه، وقالت عائشة: «لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا نساؤه» الحديث تقدم، وقد غسلت الصديق زوجته أسماء كما تقدم في الغسل لمن غسل ميتًا، وكان ذلك بمحضر من الصحابة ولم ينكروه، وغسل عليّ فاطمة كما رواه الشافعي والدارقطني وأبو نعيم، والبيهقي بإسناد حسن اهـ. وهذا مذهب أحمد انظر المغني (٢/٣٢٩، ٣٣٠).

قال ابن الهمام في فتح القدير (٢/١١٣): لا يغسل الزوج امرأته، ولا أم الولد سيدها، خلافًا للشافعي في الأول، ولزفر في الثاني؛ لأنهما صارتا أجنبيتين، وعدة أم الولد للاستبراء لأنها من حقوق الوصلة الشرعية، بخلاف عدة الزوجة، فلذا تغسل هي زوجها وإن كانت محرمة أو صائمة أو مظاهرًا منها.

وفي بدائع الصنائع (١/٤٥١): قال الكاساني: أما المرأة فتغسل زوجها لما روي عن عائشة- رضي الله عنها- أنها قالت: لو استقبلنا من الأمر ما استدبرنا لما غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا نساؤه، ومعنى ذلك أنها لم تكن عالمة وقت وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بإباحة غسل المرأة لزوجها ثم علمت بعد ذلك.

أما إذا ماتت المرأة حيث لا يغسلها الزوج لأن هناك انتهى ملك النكاح لانعدام المحل فصار الزوج أجنبيًا فلا يحل له غسلها.

تعقيب وترجيح

ما ذهب إليه جمهور أهل العلم-منهم الأئمة الثلاثة: مالك، والشافعي، وأحمد- من جواز غسل المرأة زوجها وغسل الرجل زوجته هو الصواب إن شاء الله، وهو ما تطمئن إليه النفس وينشرح له الصدر، لقوة الأدلة في ذلك كما تقدم في أول الباب، والله أعلم.

ثالثا: غسل المرأة الصبي:

الأصل أن المرأة تغسل المرأة والجارية، ولكن إذا كان هناك ضرورة فقال أكثر أهل العلم: إذا كان الصبي لم يبلغ حد الشهوة، فلا بأس أن تغسل المرأة الصبي.

أقوال أهل العلم:

قال ابن المنذر: وأجمعوا أن المرأة تغسل الصبي الصغير.

جاء في فتح القدير (٢/١١٣): "والصغير والصغيرة إذا لم يبلغا حد الشهوة يغسلهما الرجال والنساء، وقدره في الأصل بأن يكون قبل أن يتكلم، قال الحسن: تغسله إذا كان فطيمًا أو فوقه بقليل، وقال مالك، وأحمد: ابن سبع سنين، قال الأوزاعي ابن أربع أو خمس، وقال إسحاق: ثلاث إلى خمس، قال: وضبطه أصحاب الرأي بالكلام فقالوا: تغسله ما لم يتكلم ويغسلها ما لم تتكلم.

قلت: ومذهبنا يغسلان ما لم يبلغا حداً يشتهيان.

تعقيب وترجيح:

ما ذهب إليه جمهور أهل العلم من جواز غسل المرأة الصبي هو ما يترجح عندي.

أما حد ذلك، فالذي يظهر لي هو صحة قول الشافعية، والحنفية ما لم يبلغ حد الشهوة وذلك حتى تؤمن الفتنة، والله تعالى أعلم بالصواب.

مقام الشكر

الحمد لله، الحمد لله جلَّت قدرتُه، وتعالَتْ حكمتُه، وتبارَكَ اسمُه، ولا إلهَ غيرُه، أحمده على نعمائه، وأشكرُه على آلائه، وأشهد ألا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، المتفرِّد في عليائه، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبد الله ورسوله، أفضل رُسُله وخاتم أنبيائه، صلى الله وسلم وبارَكَ عليه وعلى آله وأصحابه، ساداتِ أوليائه والتابعينَ ومن تَبِعَهم بإحسانٍ إلى يوم لقائه.

إعداد **الشيخ د: صالح بن عبد الله بن حميد**

خطيب المسجد الحرام

أما بعدُ: فأوصيكم-أيها الناس- ونفسي بتقوى الله، فاتقوا الله-رحمكم الله-، واعلموا أنَ مَنْ عوَّد نفسَه العملَ لله شَقَّ عليه العملُ لغيره، وَمَنْ عَملَ لحظه وهواه شقَّ عليه الإخلاصُ لله، وعُلُوُّ الهمة عنوان الفَلَاح، ودنوُّ الهمة سبيلُ الحرمان، والنعيم لا يدرَك بالنعيم، ومن آثَر الراحةَ فاتته الراحةُ، ولا فرحةَ لِمَنْ لا همَّ له، ولا لذةَ لمن لا تعبَ له، والنفوس لها إقبالٌ وإدبارٌ، فإذا أقبلت فخُذُوها بالعزائم والعبادات، وإذا أدبرت فالزَمُوا الفرائضَ والواجبات، (إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ) (فُصِّلَتْ: ٣٠-٣٢).

الشكر خُلق عظيم وسلوك المتعبدين:

معاشرَ المسلمينَ: خُلُقٌ عظيمٌ، ومقامٌ من مقامات العبادة كريمٌ، أمَر الله به، ونهى عن ضدِّه، وأثنى على أهله، ووصَف به خواصَّ خَلْقِه، وجعَلَه غايةَ خَلْقه وأمرِه، ووعَد أهلَه بأحسنِ جزائه، وجعَلَه سببًا للمزيد من فضله، وحارسًا لنعَمِه، وحافظًا لآلائه، أهلُه هم المنتفعون بآياته، اشتقَّ لهم اسمًا من أسمائه، هم القليلون من عباده، وحسبُكم بهذا كلِّه فضلًا وشرفًا، وعُلُوًّا؛ إنه مقام الشكر، وفضلُ الشاكرين-يا عباد الله- يقول عزَّ شأنُه: (وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ) (الْبَقَرَة: ١٧٢)، فلا يعبده حقَّ عبادته إلا الشاكرون، ويقول عزَّ شأنُه: (وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ) (الْبَقَرَة: ١٥٢)، وقال جلَّ وعلا: (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ) (إبْرَاهيمَ: ٧)، ويقول عزَّ شأنُه: (وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ) (سَبَأ: ١٣).

عبادَ الله: الشكرُ أمرٌ مستقرٌّ في سلوك المتعبدينَ، ونهجٌ راسخٌ في نفوس الصالحينَ، تمتلئ به قلوبُهم، وتلهَجُ به ألسنتُهم ويظهر على جوارحهم، وأولُ أنبياءِ الله نوحٌ-عليه السلام- وصَفَه ربُّه بقوله: (إِنَّهُۥ

كَانَ عَبْدًا شَكُورًا) (الْإِسْرَاءِ: ٣)، والخليلُ إبراهيمُ صاحب الملة الحنيفية قال فيه ربُّه: (شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) (النَّحلِ: ١٢١)، أمَّا موسى-عليه السلام- فقد حكى الله عنه في قوله-سبحانه-: (وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ) (إبْرَاهِيمَ: ٦-٧)، ويقول سليمانُ-عليه السلَام- وهو ينظر فيما خصَّه به ربُّه من نعَمه وسخَّر له من مخلوقاته: (فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ) (النَّملِ: ١٩).

أمَّا نبيُّنا محمدٌ-صلى الله عليه وسلم- وهو الذي قد غفر الله له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر فيقوم لربِّه من الليل حتى تتفطر قدماه ويقول: "أفلَا أكونُ عبدًا شكورًا".

معاشرَ الإخوة: الشكر اعتراف من العبد بمنَّة الله عليه، وإقرار بنعَمه عليه، من خيرَي الدنيا والآخرة، في النفس والأهل والمالِ والأعمال، وفي شأن العبد كله، الشكرُ دليلٌ على أن العبد راضٍ عن ربه، فهو حياة القلب وحيويته، والشكر قيدُ النِّعم الموجودة، وصيد النِّعَم المفقودة، وأمرُ المؤمن كله خيرٌ، إن أصابته سرَّاءُ شكرَ فكان خيرًا له، وإن أصابَتْه ضرَّاءُ صبَرَ فكان خيرًا له، ولا يكون ذلك إلا لمؤمن.

الشكرُ دليلٌ على صفاء النفس وطهارة القلب، وسلامة الصدر، وكمال العقل، بل إنَّ الله-عزَّ وجلَّ- خلَق الناسَ من أجل أن يشكروه، فقال عزَّ شأنُه: (وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (النَّحلِ: ٧٨).

الشكرُ أولُ وصيةٍ وصَّى اللهُ بها الإنسانَ: (وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ) (لُقْمَانَ: ١٤)، وأخبَر أن رضاه في شكره-سبحانه- فقال عزَّ شأنُه: (وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ) (الزُّمَرِ: ٧)، كما جعَلَه سببًا من أسباب الأمن من عذابه، فقال جلَّ وعلا: (مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا) (النِّسَاءِ: ١٤٧)، بل لقد خصَّ الله الشاكرينَ بمنَّتَه عليهم من بين سائر عباده فقال جلَّ وعَلَا: (وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَٰؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ) (الْأَنْعَامِ: ٥٣).

أيها الإخوةُ في الله: وللشكر أركانٌ ثلاثةٌ: الاعتراف بالنِّعَم، باطنًا مع محبَّة المُنعم، والتحدُّث بها ظاهرًا مع الثناء على الله وصَرْفها في طاعة الله ومرضاته، واجتناب معاصيه، ورؤوسُ النِّعَم ثلاثةٌ: أولها وأَوْلَاها: نعمة الإسلام، التي لا تتمُّ نعمةٌ على الحقيقة إلا بها، ونعمة العافية التي لا تستقيم الحياةُ إلا بها، ونعمة الرضا التي لا يطيب العيشُ إلا بها، يقول الحسن البصري-رحمه الله-: "الخيرُ الذي لا شرَّ فيه العافيةُ مع الشكر"، فكَمْ منْ شاكرٍ وهو في بلاء، وكَمْ من مُنْعَم عليه وهو غيرُ شاكر، فإذا سألتُم الله-عز وجل- فاسألوه الشكرَ مع العافية.

وشكرُ الله-أيها المسلمون- واجبٌ في جميع الأحوال؛ في الصحة والسَّقم، والشباب والهرم والفقر والغنى، والفراغ والشغل، والسرَّاء والضرَّاء واليقظة والمنام، والسفر والإقامة، وفي حال الانفراد والاجتماع، قيامًا وقعودًا وعلى جنوبكم، يقول أبو الدرداء-رضي الله عنه-: "مَنْ لم يعرف نعَمَ اللهِ عليه إلا في مطعمِه ومشربِه فقد قلَّ

علْمُه"؛ لأنَّ نعَمَ الله دائمةٌ، وآلاءَه متتابعةٌ، (وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ) (إبْرَاهِيمَ: ٣٤)، وقال عزَّ شأنُه: (أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ) (لُقْمَانَ: ٢٠).

وبعدُ-رحمكم الله-: فإنَّ منْ فضلِ الله ورحمته ولُطْفه أنَّه-جلَّ في علاه- يشكر لعباده؛ فهو الغَفور الشكور، فالذي سقَى الكلبَ شكَر الله له فغَفَر له، فكيف بمن يُحسن للمسلمين ويتفقَّد المحتاجينَ ويتصدَّق على المعوزينَ ويرحم المستضعفينَ، والذي أخَّر غصنَ الشوك عن الطريق شكَر الله له، وغفَر له، فكيف بمن يسعى في تيسير أمور المسلمين وتفريج هموهم وتنفيس كروبهم، وَمنْ لُطْف الله-عزَّ شأنُه- أن جعَل شكرَ النَاس مِنَ شُكْر الله، جاء في الحديث: "لَا يَشْكُرُ اللَّه مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ"، ومنْ لُطْفه كذلك أن جعَل: (وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦۖ) (النَّمْل: ٤٠)، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: (وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبّٗا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ (٣٣) وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٖ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعْنَٰبٖ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ (٣٤) لِيَأْكُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْۚ أَفَلَا يَشْكُرُونَ (٣٥) سُبْحَٰنَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ) (يس: ٣٣-٣٦).

اعلموا-وفَّقكم الله- أنَّ وسائل الشكر لا تُحصى وميادينه لا تُحصى، اشكروا ربَّكم على ما أظهَر من جميل، وعلى ما ستَر من قبيح، قال رجلٌ لأبي تميمة: "كيف أصبحت؟ قال: أصبحتُ بينَ نعمتين، لا أدري أيهما أفْضَل؛ ذنوب ستَرها الله-عزَّ وجل- فلا يستطيع أحدٌ أن يُعَيِّرني بها، ومودة قذَفَها الله في قلوب العباد لم يَبْلُغْها عَمَلِي". ويكون الشكر-عبادَ الله- بالصلاة، فإن النبيَّ-صلى الله عليه وسلم- يصلي من الليل حتى تتفطَّر قدماه ويقول: "أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا".

ويكون بالصيام، فقد صام موسى-عليه السلام- يوم عاشوراء شكرًا لله؛ إذ نجَّاه وقومَه من فرعون وقومه، ثم صامَه نبيُّنا محمد-صلى الله عليه وسلم- وأمَر بصيامه وقال لليهود: "نحنُ أحقُّ بموسى منكم"، كما يكون الشكر بسجدة شكر يسجدها المؤمنُ إذا جاءه خيرٌ من ربه، أو تَحْدُث له نعمةٌ من مولاه، وقد سجَد نبيُّكم محمد-صلى الله عليه وسلم- حين أخبَرَه جبريل-عليه السلام- أن الله يقول: "مَنْ صلَّى عليكَ صلاةً واحدةً صلَّى الله عليكَ بها عشرًا"، وسجَد أبو بكر-رضي الله عنه- لَمَّا بلَغَه مقتلُ مسيلمةَ الكذَّاب، وسجَد عليٌّ-رضي الله عنه- لَمَّا بلَغَه مقتَلُ خارجي بن ثدية، وسجَد كعبُ بن مالك شكرًا لله لَمَّا تاب الله عليه، يقول عبد الرحمن السُّلَميُّ: "الصلاةُ شكرٌ، والصيامُ شكرٌ، وكلُّ خيرٍ يعمَلُه لله-عزَّ وجلَّ- شكرٌ، وأفضلُ الشكر الحمدُ".

ألَا فاتقوا الله-رحمكم الله- واعلموا أن تعدادَ النِّعم من الشكر، والتحدُّث بالنعم من الشكر، وَمَنْ أثنَى فقد شَكَرَ، والقناعةُ شكرٌ، ومنَ الشكر ألَّا يزال لسانُكَ رطبًا بذكر الله، ومن قال إذاَ أصبح وإذا أمسى: "اللهم ماَ أصبَح بي من نعمةٍ أو بأحد من خَلْقكَ فمنكَ وحدَكَ لا شريكَ فلكَ الحمدُ ولكَ الشكرُ، فقد أدَّى شكرَ يومه".

اللهم صلِّ وسلم وبارك على عبدك ورسولك نبينا محمد، الحبيب المصطفى، والنبي المجتَبَى، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى أزواجه أمهات المؤمنينَ، وارضَ اللهمَّ عن الخلفاء الأربعة الراشدينَ؛ أبي بكر وعمر وعثمان وعليٍّ، وعن الصحابة أجمعين والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنَّا معَهم بعفوكَ وجودكَ وإحسانكَ وإكرامك وكرمك يا أكرم الأكرمين.

نظرات في أحكام فرقة الطلاق

إعداد **محمد عبد العزيز**

الحمد لله الكريم المنان ذي الطول والفضل والإحسان والإنعام، الذي هدانا للإيمان، وصلاة وسلامًا على نبيه المصطفى ورسوله المجتبى محمد صلى الله عليه وسلم، وبعد:

فإن من أهم مقاصد الشريعة مقصد حفظ النسل، ومن سُبُل حفظها قيام الزوجية نواة للأسرة التي تحفظ هذا المقصد، وهذه الزوجية آية من آيات الله التي امتن بها علينا، قال الله تعالى: « وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ » (الروم: ٢٠، ٢١)

فذكر في هاتين الآيتين آيتين عظيمتين:

الأولى: خلق آدم من تراب.

الثانية: خلق زوجه من ضلع منه، ليسكن إليها، فلا يتنافر معها، ثم إن الله تعالى امتن عليهما، فجعل بينهما المودة والرحمة، وخلق منهما سائر الذرية فتحقق بذلك مقصد الانتشار في الأرض، وحفظ النسل.

والله تعالى جعل العقد والرباط اللذين يكونان بين الرجل والمرأة من أوثق العقود، وأغلظ المواثيق حتى سماه ميثاقًا غليظًا، قال الله تعالى: «وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا» (النساء: ٢١).

والميثاق الغليظ مرتبة من مراتب العقود هو أعلاها، علمًا بأن مراتب العقود خمسة، وهي: الوعد، فإذا أُكِّد الوعد كان عهدًا، وإذا أُكِّد العهد كان عقدًا، فإذا أُكِّد العقد كان ميثاقًا، فإذا أُكِّد الميثاق كان ميثاقًا غليظًا.

فالميثاق الغليظ هو أعظم العقود، وقد ذكره الله في كتابه في ثلاثة مواضع:

١ - في ميثاق الإيمان الذي أخذه الله من النبين، قال الله تعالى: «وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا » (الأحزاب: ٧)

٢ - في ميثاق الطاعة الذي أخذه الله تعالى على بني إسرائيل، قال تعالى: «وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُواْ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا » (النساء: ١٥٤).

٣ - في الميثاق الذي أخذه الله على الأزواج في عقد النكاح، قال تعالى: «وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا » (النساء: ٢١).

وهذا الميثاق هو الذي قال فيه النبي صلى

الله عليه وسلم في حجة الوداع: «واستحللتُم فُروجَهُنَّ بكلمة الله». (أخرجه مسلم: ١٢١٨).

فعظم الله الميثاق في الزواج، ثم بيّنَ أحكامه وأوضحها، ثم جعل للزوجين حقوقًا واضحة بينة، ثم جعل للأبناء والذرية حقوقًا، وربط بين أسرتي الزوجين بقرابة طارئة وهي الصهار، هذا من جهة التشريعات، وأما من الجهة الكونية فقد سبق أن الله قد جعل في كل منهما سكنًا وميلاً فطريًا للآخر، وقد جعل بينهما المودة والألفة والمحبة، وجعل بينهما الولد الذي يتراحمان به.

ومع ذلك فقد تستحيل العشرة بين الزوجين لأسباب كثيرة، قد تكون من ناحية أحد الزوجين فتتضرر الأسرة ويتكدر العيش، ولذا شرع الله تعالى فُرَق النكاح، والطلاق هو إحدى فرق النكاح.

وفرق الزواج في الجملة: ثلاث فُرَق:

الأولى: هي أعظم الفُرَق، وهي فُرْقَةُ الموت.

الثانية: فُرْقَةُ الطلاق.

الثالثة: فُرْقَةُ الفسخ.

وتقسيم فرق النكاح إلى هذه الفرق الثلاثة متفق عليه بين أهل العلم، لكنهم اختلفوا فيما يعد من فُرَق الطلاق، وما يُعدّ من فُرَق الفسخ.

فمن هذه الفرق:

- فرق الطلاق.
- فرقة اللعان.
- فُرقة الخلع.
- فُرقة الإيلاء.
- فرق الرد بالعيب، والإعسار.
- تفريق القاضي للضرر.
- فُرقة اختلاف دين الزوج، أو كون المرأة غير كتابية، أو ردّة أحدهما.
- الفُرقة لاختلال شرط.
- الفُرقة لخيار الزوجة المعتقة، التي تحت عبد.
- التفريق بخيار البلوغ قبل الدخول.

وقد ذكر ابن رشد في بداية المجتهد (٣/٩٢) في التفريق بين الطلاق والفسخ ضابطًا جيدًا، وهو في مذهب مالك، قال: «الاعتبار في ذلك هو بالسبب الموجب للتفرق:

- فإن كان غير راجع إلى الزوجين مما لو أراد الإقامة على الزوجية معه لم يصح كان فسخًا، مثل: نكاح المحرمة بالرضاع، أو النكاح في العدة.
- وإن كان مما لهما أن يقيما عليه مثل: الرد بالعيب كان طلاقًا».

وعلى هذا الضابط الذي اختاره ابن رشد ففُرَق الفسخ هي: فرقة اللعان، فرقة اختلاف دين الزوج أو كون المرأة غير كتابية، أو ردّة أحد الزوجين، والفُرْقة لاختلال شرط في النكاح؛ وهذه الفرق تُعد فسخًا؛ لأن الشرع هو الذي حرَّم بقاء الزوجية أو قيامها، حتى لو أرادها الزوجان.

وعلى هذا الضابط الذي اختاره ابن رشد ففُرَق الطلاق تشمل: طلاق الزوج، وفُرقة الخلع، وفُرقة الإيلاء، وفُرَق الرد بالعيب، وفُرقة الرد لإعسار الزوج بالنفقة، وتفريق القاضي للضرر، والفُرقة لخيار الزوجة المعتقة، التي تحت عبد، والتفريق بخيار البلوغ قبل الدخول، وهذه الفُرَق تُعدّ طلاقًا؛ لأن للزوجين أن يقيما على الزوجية لو أرادا. (وينظر: فُرَق الزواج في المذاهب الإسلامية، للشيخ: علي الخفيف ص ١٣ إلى ص ٢٠).

وأحكام الطلاق هي موضوع هذه السلسلة التي أرجو ألا تطول، فإن الهدف منها رسم صورة ذهنية كلية لأحكام هذا الباب، وليس تفصيله، وذكر تفريعات مسائله، والترجيح بين أقوال أهل العلم إذا ما وقع الخلاف بينهم فلذلك محل آخر، وسوف أتناول في هذا المقال ثلاثة أمور:

الأول: تعريف الطلاق لغة، وشرعًا؛ فالكلام عن الشيء فرع عن تصوره.

الثاني: مشروعية الطلاق في الإسلام.

الثالث: تاريخ مشروعية الطلاق.

فأقول وبالله التوفيق، ومنه السداد والعون:

الطلاق: لغة، واصطلاحًا.

الطلاق لغة: التخلية، والإرسال، من قولهم: نعجة طالق إذا خُليت مهملة بغير راع، فشبِّه ما يقع بالمرأة بذلك؛ لأنها كانت متصلةَ الأسباب بالزوج. (معجم مقاييس اللغة، مادة: طلق (٣ / ٤٢٠)، و بحر المذهب، للروياني (١٠ /٥)، دقائق أولي النهى لشرح المنتهى المعروف بشرح منتهى الإرادات (٣ / ٧٣)).

والطلاق اصطلاحًا:

عند الحنفية: رفع القيد الثابت شرعًا بالنكاح. (كنز الدقائق، وشرحه البحر الرائق (٣/ ٢٥٢)).

وعند المالكية: صفة حكمية ترفع حلِّية متعة الزوج بزوجته. (حدود ابن عرفة مع شرح الرصاع (ص ١٨٤)، وشرح الزرقاني على مختصر خليل (٤ / ١١٢)).

وعند الشافعية: حلّ قيد النكاح بلفظ الطلاق، ونحوه. (المنهاج وشرحه تحفة المحتاج (٨ /٢)).

وعند الحنابلة: حلّ قيد النكاح أو بعضه. (منتهى الإرادات (٤ /٢٢١)).

فهو عند المذاهب الثلاثة الحنفية، والشافعية، والحنبلية: حلٌّ للعقد المبرَم بين الزوجين شرعًا، ويرد عليه فرَق الفسخ؛ فهي حَلّ لهذا القيد.

وزاد الشافعية قيدًا يفرق بينه وبين الفسخ وفرقة الموت، وهو قولهم: بلفظ الطلاق، ونحوه، ويرد عليه أن بعضه ينحل في الحال، وهو الطلاق البائن، والبعض ينحل في المآل، وهو الطلاق الرجعي.

وقيد الحنبلية بقولهم: أو بعضه، للتفريق بين ما ينحل في الحال وهو الطلاق البائن، وبين ما ينحل في المآل، وهو الطلاق الرجعي.

فلو قيل: حل قيد النكاح أو بعضه بلفظ الطلاق، ونحوه، لم يرد عليه ما سبق.

وعرفه المالكية: بأنه يرفع حلية متعة الزوج بزوجته؛ لأنه يحرم استمتاع الزوج بزوجته في الحال سواء كان في الطلاق الرجعي، أو الطلاق البائن.

والذي قاله المالكية: إجماع على أن الطلاق إذا وقع على امرأة أن فرجها محظور على الزوج حتى يراجعها إذا كان ذلك الطلاق تُملَك فيه الرجعة. (الإقناع في مسائل الإجماع (٢ /٣١))

وإنهاء عقدة النكاح بالطلاق خاصة بيد الزوج، فإن قيل: فلم اشترك الزوجان في النكاح وتفرد الزوج بالطلاق؟

قيل لأمرين:

أحدهما: أنه لما اشترك الزوجان في الاستمتاع جاز أن يشتركا في عقد النكاح، ولما اختص الزوج بالتزام المؤونة جاز أن يختص الزوج بإيقاع الفرقة.

والثاني: أن المرأة لم يُجعَل الطلاق إليها؛ لأن شهوتها تغلبها فلم تؤمن منها معاجلة الطلاق عند التنافر، والرجل أغلب لشهوته منها. وأنه يؤمن منه معاجلة الطلاق عند التنافر. (الحاوي الكبير شرح مختصر المزني. بتصرف يسير. (١٠ / ١١٣))

مشروعية الطلاق:

الطلاق مشروع بالكتاب، والسنة، وإجماع الأمة.

فمن أدلة الكتاب على مشروعيته: قوله تعالى: «الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ» (البقرة: ٢٢٩).

ومن أدلة السنة على مشروعيته: حديث أبي غلاب يونس بن جبير الباهلي، قال: قلت لابن عمر: رجل طلق امرأته وهي حائض؟ فقال: «تعرف ابن عمر؟ إن ابن عمر طلق امرأته وهي حائض، فأتى عمر النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له، فأمره أن يراجعها، فإذا طهرت فأراد أن يطلقها فليطلقها. قلت: فهل عد ذلك طلاقًا؟ قال: أرأيت إن عجز واستحمق؟!» (أخرجه البخاري: ٥٢٥٢، ٥٢٥٨، ٥٣٣٣، ومسلم: ١٤٧١).

وأما الإجماع: فإن أهل العلم قد أجمعوا على أن الطلاق يحل العقد. (الإقناع في مسائل الإجماع: ٢ /٣١).

تاريخ مشروعية الطلاق:

مر الطلاق في مشروعيته بمرحلتين:

المرحلة الأولى: في كيفية إيقاع الطلاق، فقد أقر الإسلام في أول الأمر ما كان عليه الناس قبل الإسلام؛ فقد كان الطلاق مشروعًا في الجاهلية، لكنه كان يقع بثلاثة أمور: وهي: الطلاق، والإيلاء، والظهار، فلما كان أول الإسلام أقرهم على ذلك، ويدل لذلك حوار المجادلة خولة بنت ثعلبة حين جاءت تشكو إلى النبي صلى الله عليه وسلم مصابها في فراق زوجها لما ظاهر منها، فقال لها: ما أراك إلا قد حرمت عليه، وقالت له مثل ذلك. (أخرجه البيهقي ١٥٢٤٥ وفيه أبو حمزة الثمالي.)

وقال مقاتل بن حيان: كان الظهار والإيلاء طلاقا على عهد الجاهلية. (أخرجه البيهقي ١٥٢٤٧).

ثم نزل تقرير الطلاق وحده في إيقاع الفرقة، وضرب للمُولي أجلاً فإن فَاء وإلا طلق، وجعل في الظهار الكفارة.

قال الشافعي في الأم (٥ /٢٩٤): «سمعت من أرضى من أهل العلم بالقرآن يذكر أن أهل الجاهلية كانوا يطلقون بثلاثة: الظهار، والإيلاء، والطلاق.

- فأقر الله تعالى الطلاق طلاقًا.
- وحكم في الإيلاء بأن أمهل المولي أربعة أشهر ثم جعل عليه أن يفيء أو يطلق.
- وحكم في الظهار بالكفارة».

وقد جاء ذلك عن ابن عباس رضي الله عنه موقوفًا عليه من حديث أبي حمزة الثمالي، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان الرجل إذا قال لامرأته في الجاهلية: أنت عليَّ كظهر أمي حرمت عليه في الإسلام، قال: وكان أول من ظاهر في الإسلام أوس». (أخرجه البزار كما في كشف الأستار (١٥١٣)، والبيهقي (١٥٢٤٥)، وقال البزار: لا نعلم بهذا اللفظ في الظهار، عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا بهذا الإسناد، وأبو حمزة: لين الحديث، وقد خالف في روايته ومتن حديثه الثقات في أمر الظهار. وقال ابن كثير في التفسير في تفسير سورة المجادلة (٨ / ٣٨): «وهذا إسناد جيد قوي، وسياق غريب، وقد روي عن أبي العالية نحو هذا.» ثم ساقه).

المرحلة الثانية: في عدد التطليقات التي كان يملكها الزوج، فقد كان الزوج يملك أن يطلق المرأة ما يشاء من تطليقات، ويراجعها إذا شاء قبل أن تقضي عدتها، وكان ذلك من طلاق الناس قبل الإسلام، فلما جاء الإسلام أقر الطلاق وحصره في ثلاث تطليقات، يملك منه الرجل رجعة زوجته في العدة في طلقتين، فعن عروة بن الزبير قال: «كان الرجل إذا طلق امرأته ثم ارتجعها قبل أن تنقضي عدتها، كان ذلك له، وإن طلقها ألف مرة. فعمد رجل إلى امرأته فطلقها، حتى إذا شارفت انقضاء عدتها، راجعها، ثم طلقها. ثم قال: لا، والله لا آويكِ إلي، ولا تحلين أبدًا، فأنزل الله تعالى: «الطَّلاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ» (البقرة ٢: ٢٢٩)؛ فاستقبل الناس الطلاق جديدًا من يومئذ، من كان طلق منهم، أو لم يطلق.» (أخرجه مالك في الموطأ - تحقيق الأعظمي (٢١٨٣)).

فانقسم الطلاق بذلك إلى قسمين:

الأول: طلاق رجعي، وهو الذي يملك فيه الزوج الرجعة خلال العدة في الطلقة الأولى والثانية.

الثاني: الطلاق البائن، وينقسم إلى قسمين:

١ - ما تبين فيه المرأة بينونة صغرى، وهو الطلاق الأول، أو الثاني الذي لم يراجع فيه الرجل المطلقة في فترة العدة فتبين منه بينونة صغرى، لا تحل له بعدها إلا بعقد ومهر جديدين- ومن البينونة الصغرى كل طلاق على عوَض، وكل طلاق وقع بتفريق القاضي-.

٢ - ما تبين فيه المرأة بينونة كبرى، وهو ما يقع بتطليق الرجل لامرأته الطلقة الثالثة.

هذا ما يسره الله تعالى في هذا المقال، فإن يكن صوابًا فالحمد لله، وإن تكن الأخرى فأستغفر الله، يتبع إن شاء الله.

استشهاد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب في المحراب (١)

إعداد **عبدالرزاق السيد عيد**

الحمد لله الباقي بعد فناء خلقه، الحي الذي لا يموت والخلق جميعًا يموتون، والصلاة والسلام على خاتم النبيين وامام المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه واخوانه المرسلين.

أما بعد:

فحديثنا اليوم عن حدث أصاب الأمة الإسلامية في مقتل؛ ذلك الحدث وإن كان يتمثل في مقتل الخليفة الثاني بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، إلا أنه أصاب رأس الأمة الإسلامية بأسرها فتصدع، وفتح بابًا مغلقًا دخلت منه الفتن من كل صوب، ولم يُغلق هذا الباب حتى اليوم.

واليوم بعون الله سبحانه نتناول هذا الحدث الجلل وأبعاده من خلال المحاور التالية- سائلين الله العون والتوفيق-:

أولاً: تاريخ الحدث ومكانه والقاتل:

نقل المؤرخون الأثبات (الطبري، وابن كثير، وابن قتيبة، وغيرهم): أنه في فجر يوم الأربعاء السادس والعشرين من ذي الحجة عام ٢٣هـ الموافق الثالث والعشرين من نوفمبر عام ٦٤٤م خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليؤم الناس في صلاة الفجر في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة النبوية كعادته، حتى إذا انتظمت صفوف المصلين، وكبَّر عمر رضي الله عنه للدخول في الصلاة، دخل في تلك اللحظة رجل وطعن عمر رضي الله عنه بخنجر له نصلان حادان، وطعنه طعنات إحداها تحت سرته، وربما كانت القاتلة، فالتفت عمر رضي الله عنه إلى المصلين باسطًا يديه يقول: أدركوا الكلب فقد قتلني، وحاول القاتل الفرار فتصدى له المصلون، فراح يطعن المصلين يمينًا وشمالاً حتى أصاب ثلاثة عشر منهم، استشهد منهم ستة، ثم ألقى عليه بعض المصلين ثوبًا من خلفه، وطرحه أرضًا، فلما أدرك القاتل أنه مأخوذ لا محالة طعن نفسه.

وذلك القاتل الأثيم هو فيروز أبو لؤلؤة المجوسي- عليه لعنة الله- فارسي الأصل من سبايا نهاوند، وكان خادمًا للمغيرة بن شعبة.

ثم أخذ عمر رضي الله عنه بيد عبد الرحمن بن عوف وقدّمه ليصلي بالناس والصف الذي خلف الإمام هو الذي رأى ما حدث والناس على صفوفهم ما زالوا، وفي نواحي المسجد لا يعلمون شيئًا مما حدث، إلا أنهم فقدوا صوت عمر، فسبحوا، وصلى بهم ابن عوف رضي الله عنه صلاة خفيفة، ولما انصرفوا من الصلاة، قال عمر لابن عباس: انظر من قتلني؟ قال: غلام المغيرة. قال عمر: الحمد لله الذي لم يجعل منيتي على يد رجل مسلم. أو قال: يحاجني بشهادة الإسلام أو بسجدة سجدها لله. واحتُمل عمر رضي الله عنه إلى بيته، وكأنَّ

الناس لم تصبهم مصيبة قبل هذه مما أصابهم من هول الفاجعة، وكان عمر رضي الله عنه كلما شرب شيئًا خرج من جرحه، فأيقنوا بموته.

ثانيا: اللحظات الأخيرة في حياة عمر رضي الله عنه:

ابن عباس رضي الله عنهما يصف اللحظات الأخيرة في حياة الفاروق، فيقول: دخلت على عمر حين طعن، فقلت: أبشر بالجنة يا أمير المؤمنين، أسلمت حين كفر الناس، وجاهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خذله الناس، وقُبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنك راض، ولم يختلف في خلافتك اثنان وقتلت شهيدًا. وأصل هذه الرواية في صحيح البخاري برقم (٣٦٩٢).

وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: «أنا آخركم عهدًا بعمر، دخلت عليه ورأسه في حجر ابنه عبد الله بن عمر، فقال له: ضع خدِّي على الأرض. قال عبد الله: فهل فخذي والأرض إلا سواء؟ قال عمر: ضع خدي على الأرض لا أم لك في الثانية أو الثالثة (أي بعد أن كرر عبد الله الجملة ثلاثًا)، قال عثمان رضي الله عنه: فسمعته يقول: ويلي، وويل أمي إن لم يغفر الله لي حتى فاضت روحه».

وكان عُمره ثلاثًا وستين سنة، وهي السنّ التي توفي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكذلك أبو بكر. (رواه مسلم).

ثالثًا: أهم وصايا عمر رضي الله عنه قبل أن تفيض روحه إلى بارئها:

١- وصية عمر رضي الله عنه بسداد دينه:

قال عبد الله بن عمر: انظر ما عليّ من الدَّين فإن وفَّى له مال آل عمر، فأده من أموالهم، وإلا فسل في بني عدي بن كعب، فإن لم تف أموالهم، فسل في قريش ولا تَعْدُهم إلى غيرهم؛ فأدِّ عني هذا المال.

٢- طلبه الدفن مع صاحبيه:

قال عمر رضي الله عنه: «اذهَبْ إلى أمِّ المُؤمنينَ عائشةَ فقُلْ لها: يقرَأُ عليكِ عُمَرُ بنُ الخطَّابِ السَّلامَ ولا تقُلْ: أميرُ المُؤمنينَ فإنِّي لَسْتُ للمُؤمنينَ بأميرٍ فقُلْ: يستأذِنُ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ أنْ يُدفَنَ مع صاحبَيْه فسلَّم عبدُ الله ثمَّ استأذَن فوجَدها تبكي فقال لها: يستأذِنُ عُمَرُ بنُ الخطَّابِ أنْ يُدفَنَ مع صاحبَيْه فقالت: واللهِ كُنْتُ أرَدْتُه لنفسي ولأوثِرَنَّه اليومَ على نَفسي فجاء فلمَّا أقبَل قيل: هذا عبدُ اللهِ قد جاء فقال: ارفَعاني فأسنَده إليه رجُلٌ فقال: ما قالت؟ قال: الذي تُحبُّ يا أميرَ المُؤمنينَ قد أذِنَتْ لكَ قال: الحمدُ للهِ ما كان شيءٌ أهمَّ إليَّ من ذلك المُضطجَعِ فإذا أنا قُبِضْتُ فسلِّمْ وقُلْ: يستأذِنُ عُمَرُ بنُ الخطَّابِ فإنْ أذِنَتْ لي فأدخِلوني وإنْ ردَّتْني فرُدُّوني إلى مقابِرِ المُسلمينَ». (البخاري: ٣٧٠٠).

٣- وصيته باختيار خليفة للمسلمين:

لما طُلب من عمر رضي الله عنه أن يستخلف من بعده، ففكر مليًا وهو على فراش الموت، ثم رشح ستة أسماء يختار المسلمون من بينهم من يرضونه خليفة لهم، وهم: علي بن أبي طالب، وعثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله، رضي الله عنهم. (البداية والنهاية: ٧/١٤٢).

وذكر المؤرخون ومنهم ابن كثير أن عمر رضي الله عنه استبعد ترشيح عبد الله بن عمر أو أحد له صلة بقبيلة بني عدي، وقد استبعد ترشيح سعيد بن زيد بن نفيل، وهو من العشرة المبشرين بالجنة لهذا السبب.

ولم يكتف عمر بتحديد الأسماء الستة، بل بيَّن لهم طريقة انتخاب الخليفة من خلال مجلس شورى من وجوه القوم من المهاجرين والأنصار، وعيَّن من يصلي بالناس خلال الفترة الانتقالية وهو صهيب الرومي، رضي الله عنه، وأمر المقداد بن الأسود، وأبا طلحة الأنصاري، رضي الله عنهما، أن يراقبا سير الأمور، كما أمر أن يحضر عبد الله بن عمر بصفته مستشارًا، وليس له من الأمر شيء.

٤- وصيته للخليفة الذي يختاره الناس بعده:

ثم قال: «أُوصي الخليفةَ بعدي بتَقْوى الله وأوصيه بالمُهاجرينَ الأوَّلينَ أنْ يعلَمَ لهم فَيْئَهم ويحفَظَ لهم حُرمتَهم وأوصيه بالأنصارِ خيرًا الَّذينَ تبَوَّؤُوا الدَّارَ والإيمانَ من قبْلِهم أنْ يُقبَلَ من مُحسنِهم ويُعفَى عن مُسيئِهم وأوصيه بأهلِ الأمصارِ خيرًا فإنَّهم ردْءُ الإسلامِ وجُباةُ المالِ وغَيْظُ العدوِّ وألَّا يُؤخَذَ منهم إلَّا فَضْلُهم عن رضًا وأوصيه بالأعراب خيرًا إنَّهم أصلُ العرَب ومادَّةُ الإسلام أنْ يُؤخَذَ منهم من حواشي أموالهم فيُرَدَّ في فُقرائهم وأوصيه بذمَّة الله وذمَّة رسوله صلَّى الله عليه وسلَّم أنْ يُوفَى لهم بعهدهم وأنْ يُقاتَلَ من ورائهم وألَّا يُكلَّفوا إلَّا طاقتَهم، إذا أدوا ما عليهم للمؤمنين طوعًا أو عن يد وهم صاغرون، وأوصيك بتقوى الله والحذر منه ومخافة قصته، وأن يطلع منك على دينه، وأن تخشى الله في الناس ولا تخشى الناس في الله، وأوصيك بالعدل في الرعية والتضرع لحوائجهم، ولا تؤثر غنيهم على فقيرهم فإن في ذلك إن شاء الله سلامة قلبك، وحطًا لوزرك، وخيرًا في عاقبة أمرك، وآمرك أن تشتد في أمر الله، وفي حدوده ومعاصيه على قريب الناس وبعيدهم، واجعل الناس عندك سواء، ولا تأخذك في الله لومة لائم، وإياك والمحاباة فيما ولاك الله، وأوصيك ألا ترخص لنفسك ولا لغيرك في ظلم أهل الذمة، وكن واعظًا لنفسك وأناشدك الله ألا ترحمت على جماعة المسلمين، وأجللت كبيرهم ورحمت صغيرهم ووقرت عالمهم، ولا تجعل المال دولة بين الأغنياء منهم، ولا تغلق بابك دونهم فيأكل قويهم ضعيفهم، هذه وصيتي لك وأشهد الله عليك والسلام».

وقد علَّق صاحب كتاب الإدارة الإسلامية في عصر عمر بن الخطاب فقال: «هذه الوصية تدل على بُعد نظر عمر في مسائل الحكم والإدارة وتُفصح عن نهج ونظام حكم وإدارة متكامل».

ونقول: هكذا الفاروق رضي الله عنه ظل مهمومًا بأمر الأمة حتى وهو يصارع سكرات الموت، رضي الله عنه وأرضاه.

رابعًا: الأيام الأخيرة في حياة أمير المؤمنين عمر قبل استشهاده:

١-حوار دار بين عمر وحذيفة رضي الله عنهما عن الفتن:

ذكر الإمام البخاري في باب الفتن من حديث حذيفة رضي الله عنه قال: «إنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ قَالَ أَيُّكُمْ يَحْفَظُ قَوْلَ رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ في الْفِتْنَةِ؟ فَقَالَ حُذَيْفَةُ: أَنَا أَحْفَظُ كَمَا قَالَ. قَالَ: هَاتَ إِنَّكَ لَجَرِيءٌ. قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: فِتْنَةُ الرَّجُلِ في أَهْلِه وَمَالِه وَجَارِه تُكَفِّرُهَا الصَّلَاةُ وَالصَّدَقَةُ وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنْ الْمُنْكَر، قَالَ لَيْسَتْ هَذِه، وَلَكِنْ الَّتِي تَمُوجُ كَمَوْجِ الْبَحْرِ؟ قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَا بَأْسَ عَلَيْكَ مِنْهَا، إِنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا بَابًا مُغْلَقًا. قَالَ: يُفْتَحُ الْبَابُ أَوْ يُكْسَرُ؟ قَالَ: لَا بَلْ يُكْسَرُ. قَالَ ذَاكَ أَحْرَى أَنْ لَا يُغْلَقَ. قُلْنَا: عَلِمَ عُمَرُ الْبَابَ؟ قَالَ: نَعَمْ كَمَا أَنَّ دُونَ غَدٍ اللَّيْلَةَ؛ إِنِّي حَدَّثْتُهُ حَدِيثًا لَيْسَ بِالْأَغَالِيطِ، فَهِبْنَا أَنْ نَسْأَلَهُ، وَأَمَرْنَا مَسْرُوقًا فَسَأَلَهُ؛ فَقَالَ: مَنْ الْبَابُ؟ قَالَ: عُمَرُ» (البخاري: ٣٣٩٣).

وقد كان عمر يعلم هذه الحقيقة، وكان يعلم أنه سيُقتل قتلاً ويلقى الله شهيدًا، فقد روى البخاري في باب المناقب من حديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صعد جبل أُحد، ومعه أبو بكر، وعمر، وعثمان، فرجف بهم الجبل، فضربه رسول الله صلى الله عليه وسلم برجله، وقال له: «اثبت أُحُد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان».

وللحديث بقية إن شاء الله.

واحة

من فضائل الصحابة بشهادة آل البيت

عن جابر عن أبي جعفر قال: قلت له: هل كان فيكم أهل البيت أحد يسب أبا بكر وعمر رضي الله عنهما فقال: لا، فتولهما واستغفر لهما وأحبهما، قلت: هل كان فيكم أحد يؤمن بالرجعة؛ قال: لا. (كتاب الشريعة للآجري ١٩٤٧)

من نور كتاب الله

التوحيد دعوة الرسل أجمعين

قال تعالى: " وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ فَسِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ " (النحل: ٣٦).

فضل صيام عاشوراء

عن أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن صوم عاشوراء؟ فقال: "يُكفِّر السنة الماضية"

(صحيح مسلم ١١٦٢).

فضل شهر المحرم

عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أفضل الصلاة بعد المكتوبة الصلاة في جوف الليل، وأفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم"

(صحيح مسلم ١١٦٣).

من حكمة الشعر

قال هارون الرشيد: لو قيل للدنيا صفي لنا نفسك، وكانت ممن ينطق، ما وصفت نفسها بأكثر من قول أبي نواس:

إذا امتحن الدّنيا لبيب تكشّفت... له عن عدوّ في ثياب صديق
وما الناس إلا هالك وابن هالك... وذو نسب في الهالكين عريق

(العقد الفريد)

التوحيد

إعداد: علاء خضر

أحاديث باطلة لها آثار سيئة

(أنا شجرة، وفاطمة أصلها أو فرعها، وعلي لقاحها، والحسن والحسين ثمرتها، وشيعتنا ورقها، فالشجرة أصلها من جنة عدن، الأصل والفرع، واللقاح والورق والثمر في الجنة). قال الألباني-رحمه الله-: حديث موضوع. فهو من وضع الشيعة. (السلسلة الضعيفة للألباني).

حِكَم ومواعظ

قال عمر بن الخطاب-رضوان الله عليه-: "أيها الناس، تعلموا كتاب الله تُعْرَفُوا به، واعملوا به تكونوا من أهله" (العقد الفريد).

من دلائل النبوة

حنين الجذع

عن جابرٍ رضيَ الله عنه قال: كانَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يخطُبُ إلى أصلِ شَجرةٍ أو إلى جِذعٍ ثمَّ اتَّخذَ المنبرَ، فَحنَّ الجذعُ حتَّى سمعَ أهْلُ المسجد، حنينَهُ، حتى أتاهُ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم فمَسحهُ فسَكَنَ، فقالَ بعضُهُم: "لو لم يأتِهِ لحنَّ إلى يومِ القيامةِ" أخرجه البخاري (٩١٨).

من أقوال السلف

عن أيوب السختياني قال: "لا أعلم اليوم أحدًا من أهل الأهواء يخاصم إلا بالمتشابه".

(الإبانة لابن بطة)

من نصائح الحكّام

لما استخلف عمر بن عبد العزيز أرسل إلى سالم بن عبد الله ومحمد بن كعب. فقال لهما: أشيرا عليَّ. فقال له سالم: اجعل الناس أبًا وأخًا وابنًا، فبِرَّ أباك، واحفظ أخاك، وارحم ابنك. وقال محمد بن كعب: أحبب للناس ما تحب لنفسك، واكره لهم ما تكره لنفسك.

(العقد الفريد).

أثر السياق في فهم النص

(١١٦)

حجاب المرأة المسلمة

(٢٦)

إعداد **د. متولي البراجيلي**

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير المرسلين، وبعد:

نواصل الكلام بفضل الله تعالى عن حجاب المرأة المسلمة (الدليل، الاستدلال)، وانتهيت من أدلة القرآن الكريم، ووصلت في أدلة السنة وأقوال الصحابة إلى الحديث الثالث والعشرين، حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إياكم والجلوس على الطرقات: فقالوا ما لنا بد، إنما هى مجالسنا نتحدث فيها. قال: فإذا أبيتم إلا المجالس فأعطوا الطريق حقها. قالوا: وما حق الطريق؟ قال: غض البصر...... الحديث (متفق عليه).

وموضع الشاهد من الحديث: الأمر بغض البصر. قال الشيخ الألباني محتجًا بالحديث بعد أن ذكر قوله تعالى: (قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ)(النور:٣٠) فإنها تُشعر بأن في المرأة شيئًا مكشوفًا يمكن النظر إليه، فلذلك أمر الله تعالى بغض البصر عنهن، وما ذلك غير الوجه والكفين، ثم ذكر حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه (انظر جلباب المرأة المسلمة ص٧٦).

قلت: مما لا شك فيه أن غض البصر عن وجه المرأة وكفيها يدخل أصالة في الأمر بغض البصر عن المرأة، لكن لا يقصر الأمر بغض البصر على الوجه والكفين فقط، إنما الغضّ عن كل محاسن المرأة، سواء ما ظهر منها عن غير قصد منها، أو بقصد منها؛ كحال المتبرجات الآن في شوارع المسلمين.

ولا شك أن الفتنة بجسد المرأة أشد من الفتنة بوجهها، وإذا كان من أهل العلم من قال: إن الأمر بتغطية وجه المرأة من باب قياس الأولى، قياسًا على الأمر بتغطية جسدها كله حتى شعرها؛ إذ إن الفتنة تبدأ من الوجه، لكنني أرى أن هذا كان يعتمد على واقع المرأة حينها من تغطية جسدها بحجاب فضفاض لا يُظهر شيئًا من محاسنها. أما ما يحدث الآن في بلاد المسلمين من تعرية

وتجسيد مفاتن أجسادهن، فلا شك أن الفتنة بهذا أشد من الفتنة بالوجه، ولأن الشرع يشرع للناس حتى قيام الساعة، والله يعلم سبحانه وتعالى ما سيكون من أمر النساء؛ لذا كان الأمر بغض البصر عن كل ما تتبرج به المرأة، وتظهر به محاسنها، خاصة جسدها. وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا» (مسلم وغيره).

يقول الإمام النووي: هذا الحديث من معجزات النبوة، فقد وقع هذا الصنفان، وهما موجودان..... قيل: معناه كاسيات من نعمة الله عاريات من شكرها، وقيل: معناه تستر بعض بدنها، وتكشف بعضه إظهارًا بحالها ونحوه، وقيل معناه تلبس ثوبًا رقيقًا يصف لون بدنها.... (انظر شرح النووي على صحيح مسلم ٤/١٠٩).

قلت: الإمام النووي من علماء القرن السابع الهجري، فكيف يقال عن حال النساء المتبرجات في زماننا؟

قلت: الاستدلال من حديث أبي سعيد الخدري من أمر النبي صلى الله عليه وسلم بغض البصر، وما ذلك إلا لظهور وجهها وكفيها، ليس بقوي، فالمرأة كلها عورة، والرجل مطالَب بغض بصره عنها كلها، وفي الحديث عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «المرأة عورة»، وإنها إذا خرجت استشرفها الشيطان، وإنها لا تكون أقرب إلى الله منها في قعر بيتها» (صحيح سنن الترمذي و صحيح ابن حبان وغيرهما).

يقول المباركفوري: أي زينها في نظر الرجال، وقيل: أي نظر إليها ليغويها ويغوي بها.... فإذا خرجت أمعن النظر إليها ليغويها بغيرها ويغوي غيرها بها، ليوقعهما أو أحدهما في الفتنة. (انظر تحفة الأحوذي ٤/٢٨٣).

الحديث الرابع والعشرون:

عن بريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي: «يا علي لا تتبع النظرة النظرة؛ فإن لك الأولى وليست لك الآخرة» (صحيح سنن الترمذي وغيره).

سند الحديث: مداره على شريك بن عبدالله بن أبي شريك القاضي، وقد اختلفت أقوال أهل العلم فيه بين التقوية والتضعيف، والكثير على أنه صاحب حديث إلا أنه كثير الخطأ. قال ابن عدي: والغالب على حديثه الصحة والاستواء، والذي يقع في حديثه من النكرة إنما أتى به من سوء حفظه، لا أنه يتعمد شيئًا مما يستحق أن ينسب فيه إلا شيء من الضعف (انظر تهذيب التهذيب ٣/١٦٤-١٦٦)، وقال الحافظ ابن حجر: صدوق يخطئ كثيرًا تغير حفظه منذ ولي القضاء بالكوفة (انظر تقريب التهذيب ت ٢٧٨٧).

قلت: ومن كان هذا حاله؛ فإنه يصلح في المتابعات، وقد حسَّنه الألباني، فقال: شريك بن عبدالله القاضي، وهو سيئ الحفظ، لكنه قد توبع، فقد أخرج الطحاوي في كتابيه، والحاكم ٣/١٢٣ وأحمد ١٣٦٩، ١٣٧٣ من طريق حماد بن سلمة-وساق السند- وقال الحاكم: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي، قال الألباني: وابن إسحاق مدلس، وقد عنعنه، لكن الحديث حسن بهذين الطريقين، ويشهد له الحديث الذي بعده

(يقصد حديث جرير بن عبدالله قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نظر الفجأة، فأمرني صلى الله عليه وسلم أن أصرف بصري، أخرجه مسلم وغيره) (انظر جلباب المرأة المسلمة ص ٧٧ــ٧٨)، وكذلك حسَّن الحديث الأرناؤوط في تعليقه على المسند (ح٢٢٩٧٤).

وقد احتج الشيخ الألباني بهذا الحديث- كما احتج بالحديث السابق- أن الأمر بغض البصر وصرفه يُستدل به على أن وجه المرأة يكون مكشوفًا، وإلا فماذا سينظر من المرأة؟

قلت: وكما قلت في الحديث السابق: أن الأمر بغض البصر وصرفه قد يكون عن النظر إلى الوجه، وقد يكون إلى العينين من خلف النقاب، أو إلى المرأة على عمومها.

الحديث الخامس والعشرون:

عن جرير بن عبدالله رضي الله عنه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نظر الفجاءة، فأمرني أن أصرف بصري. (مسلم وغيره).

وقد احتج الشيخ الألباني بالحديث -كالحديثين السابقين- على أن وجه المرأة يكون مكشوفا وهو محل النظر إليها، لذا أمر النبي صلى الله عليه وسلم بصرف البصر، بينما احتج بالحديث القائلون بوجوب تغطية الوجه، كالشيخ التويجري؛ إذ قال: «ويستفاد من هذا الحديث أن نساء المؤمنين في زمن النبي صلى الله عليه وسلم كن يستترن عن الرجال الأجانب، ويغطين وجوههن عنهن، وإنما كان يقع النظر فجاءة في بعض الأحيان، ولو كن يكشفن وجوههن عن الرجال الأجانب، لما كان لذكر النظر فجاءة معنى، وأيضا لو كن يكشفن وجوههن عن الرجال الأجانب، لكان في صرف البصر عنهن مشقة عظيمة ولا سيما إذا كثرت النساء حول الرجل؛ لأنه إذا صرف بصره عن واحدة فلا بد أن ينظر إلى أخرى، وأما إذا كن يغطين وجوههن كما يفيده ظاهر الحديث، فإنه لا يبقى على الناظر مشقة في صرف النظر، لأن ذلك إنما يكون بغتة في بعض الأحيان (انظر: الصارم المشهور ص ٩٢-٩٥).

قلت: قول الشيخ التويجري: يغطين وجوههن كما يفيده ظاهر الحديث، غير مُسَلَّم به. وإنما هو استنباط من الحديث، قد يدل على ما ذهب إليه، وقد يدل على ما ذهب إليه الشيخ الألباني من أن الأمر بصرف البصر يدل على أن النساء كن يكشفن وجوههن؛ فالحديث ليس نصًّا لأي من الفريقين؛ القائل بوجوب النقاب، والقائل بعدم وجوبه، وإنما هو استدلال من الحديث، وطالما هو استدلال، فالخلاف في الاستدلال من النص سائغ ومعروف.

يقول الإمام النووي: ومعنى نظر الفجأة: أن يقع بصره على الأجنبية من غير قصد، فلا إثم عليه في أول ذلك، ويجب عليه أن يصرف بصره في الحال، فإن صرف في الحال فلا إثم عليه، وإن استدام النظر أثم لهذا الحديث؛ فإنه صلى الله عليه وسلم أمره بأن يصرف بصره، مع قوله تعالى: (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم). قال القاضي عياض: «قال العلماء وفي هذا حجة أنه لا يجب على المرأة أن تستر وجهها في طريقها، وإنما ذلك سنة مستحبة لها، ويجب على الرجال غض البصر عنها في جميع الأحوال» (انظر شرح النووي على مسلم ١٣٩/١٤، إكمال المعلم ٣٧/٧، مرقاة المفاتيح / ٢٠٥٢).

وقال العينى مستدلاً من الحديث: دلَّ ذلك على أنه ليس لأحد أن ينظر إلى وجه امرأة إلا أن يكون بينها وبينه من النكاح أو الحرمة. (انظر عمدة القارى ١١٩/٢٠).

وللحديث بقية، والحمد لله رب العالمين.

باب الفقه

أحكام الصلاة

صلاة التطوُّع

الحلقة الخامسة

إعداد **د. حمدي طه**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد: ما يزال الحديث موصولاً عن صلاة التطوع، وقد تكلمنا في الحلقة السابقة عن أداء السنن والنوافل في البيوت، وجواز صلاة التطوع من جلوس، ونكمل الحديث فيما بدأناه:

قضاء السنن والنوافل:

إذا فات التطوع-سواء المطلق، أو المقيد بسبب أو بوقت- يرى الحنفية والمالكية على المشهور، والحنابلةَ في قول: أن السنن-عدا سنة الفجر- لا تُقضى بعد الوقت، ثم اختلف الحنفية في قضاء هذه السنن تبعًا للفرض، فقال بعضهم: يقضيها تبعًا؛ لأنه كم من شيء يثبت ضمنًا ولا يثبت قصدًا.

وقال بعضهم: لا يقضيها تبعًا كما لا يقضيها مقصودة، قال العيني: وهو الأصح، لاختصاص القضاء بالواجب، ويرى الشافعية أن النوافل غير المؤقتة كصلاة الكسوفين والاستسقاء وتحية المسجد لا مدخل للقضاء فيها، وأما النوافل المؤقتة كالعيد والضحى، والرواتب التابعة للفرائض، ففي قضائها عندهم أقوال: أظهرها: أنها تُقضى، والثاني: لا، والثالث: ما استقل كالعيد والضحى قُضِيَ، وما كان تبعًا كالرواتب فلا.

وعلَى القول بأنها تُقضى، فالمشهور: أنها تُقضى أبدًا، والثاني: تُقضى صلاة النهار ما لم تغرب شمسه، وفائت الليل ما لم يطلع فجره؛ فيقضي ركعتي الفجر ما دام النهار باقيًا، والثالث: يقضي كل تابِع ما لم يصلّ فريضة مستقبلة، فيقضِي الوتر ما لم يصلّ الصبح، ويقضي سنة الصبح ما لم يصلّ الظهر، والباقي على هذا المثال، وقيل: على هذا الاعتبار بدخول وقت المستقبلة لا بفعلها.

ويرى الحنابلة على المذهب أن من فاتَه شيء من السنن الرواتب سُنَّ له قضاؤها، وفي شرح منتهى الإيرادات: «يُسنّ قضاء الرواتب، إلا ما فات مع فرضه وكثر، فالأولى تركه، إلا سنة الفجر فيقضيها مطلقًا لتأكدها.

وعن أحمد: لا يُستحب قضاؤها، وعنه: يقضي سنة الفجر إلى الضحى، وقال القاضي وبعض الأصحاب: لا يُقضى إلا ركعتا الفجر وركعتا الظهر». (انظر: الموسوعة الفقهية الكويتية- بتصرف).

واحتج الحنفية ومن وافقهم بما روت أم سلمة رضي الله عنها قالت: صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العصر، ثم دخل بيتي فصلى ركعتين، فقلت: يا رسول الله، صليت صلاة لم تكن تصليها؟ فقال: قدم عليَّ مال فشغلني عن الركعتين كنت أركعهما بعد الظهر، فصليتهما الآن. فقلت:

يا رسول الله: أفنقضيهما إذا فاتتا؟ قال: لا». (أخرجه أحمد). وقول الراوي: (أفنقضيها إذا فاتتا؟ قال : لا) زيادة منكرة، انظر: الضعيفة رقم ٩٤٦.

وهذا نص على أن القضاء غير واجب على الأمة، وإنما هو شيء اختص به النبي صلى الله عليه وسلم ولا شركة لنا في خصائصه. وقياس هذا الحديث أنه لا يجب قضاء ركعتي الفجر أصلاً، إلا أنا استحسنا القضاء إذا فاتتا مع الفرض، لحديث ليلة التعريس، ولأن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم عبارة عن طريقته وذلك بالفعل في وقت خاص على هيئة مخصوصة على ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم فالفعل في وقت آخر لا يكون سلوك طريقته، فلا يكون سنة بل يكون تطوعًا مطلقًا. وأما ركعتا الفجر إذا فاتتا مع الفرض فقد فعلهما النبي صلى الله عليه وسلم مع الفرض ليلة التعريس؛ فنحن نفعل ذلك لنكون على طريقته». (بدائع الصنائع للكساني٢/٣٨١).

واحتج الشافعية ومن وافقهم بعموم الأمر بقضاء النبي الصلاة الفائتة، وبما ورد من قضاء النبي صلى الله عليه وسلم لبعض النوافل. قال ابن حامد من الحنابلة: تُقضى جميع السنن الرواتب في جميع الأوقات إلا أوقات النهي؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قضى بعضها وقسنا الباقي عليه». (المغني لابن قدامة ١/٧٩٩).

قال الخطيب الشربيني من الشافعية: (ولو فات النفل المؤقت) سُنَّت الجماعة فيه كصلاة العيد أو لا كصلاة الضحى (نُدب قضاؤه في الأظهر)؛ لحديث الصحيحين «من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها إذا ذكرها»، ولأنه صلى الله عليه وسلم قضى ركعتي الفجر لما نام في الوادي عن صلاة الصبح إلى أن طلعت الشمس. رواه أبو داود بإسناد صحيح. وفي مسلم نحوه «وقضى ركعتي سنة الظهر المتأخرة بعد العصر» رواه الشيخان؛ ولأنها صلاة مؤقتة فقضيت كالفرائض، وسواء السفر والحضر كما صرح به ابن المقري.

والثاني: لا يقضي كغير المؤقت.

والثالث: إن لم يتبع غيره كالضحى قضى لشبهه بالفرض في الاستقلال وإن تبع غيره كالرواتب فلا.

تنبيه: قضية كلامه- أي النووي في المنهاج- أن المؤقت يُقضَى أبدًا وهو الأظهر، والثاني يقضي فائتة النهار ما لم تغرب شمسه وفائتة الليل ما لم يطلع فجره، والثالث: يقضي ما لم يصل الفرض الذي بعده، وخرج بالمؤقت ما له سبب كالتحية والكسوف فإنه لا مدخل للقضاء فيه. (مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج ٢/١٤٢).

وبعد عرض هذه الآراء أرى الأرجح أنه يُشرع قضاء السنن الراتبة والسنن الملحقة بها إنْ هي فاتت بنوم أو نسيان أو انشغال فلم تُصلَّ في أوقاتها، وباستعراض النصوص التي وردت في هذا الباب، نجد جملة من الأحاديث الشريفة تنص على وقائع عدة من قضاء السنن هذه، وهذه الوقائع ليست للحصر وإنما هي لمجرد التنصيص على أفرادٍ منها فحسب، فينسحب الحكم المستنبط منها على جميع هذه السنن، ولا يُوقف الحكم هذا على الأفراد المنصوص عليها فحسب، وإليك هذه الأحاديث الشريفة:

أولاً: النص العام:

روى أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من نسي صلاة فليصلها إذا ذكرها؛ فإن الله تعالى يقول: «أقم الصلاة لذكري». قلت للزهري: هكذا قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: نعم. (رواه النَّسائي، وصححه الألباني).

وهذا عام في كل صلاة فيشمل الفرض والنفل.

ثانيًا: النصوص الخاصة:

١- سنة صلاة الفجر: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من لم يصل ركعتي الفجر فليُصَلِّهما بعدما تطلع الشمس». (أخرجه الترمذي، وصححه الألباني).

وعنه أيضًا قال: عرسنا مع نبي الله صلى الله عليه وسلم فلم نستيقظ حتى طلعت الشمس، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «ليأخذ كل رجل برأس راحلته؛ فإن هذا منزل حضرنا فيه الشيطان». قال: ففعلنا، ثم دعا بالماء فتوضأ، ثم

سجد سجدتين (وفي رواية: ثم صلى سجدتين)، ثم أقيمت الصلاة فصلى الغداة». أخرجه مسلم.

قال ابن القيم رحمه الله في فقه هذه القصة: «وفيها: أن السنن الرواتب تُقضى كما تُقضى الفرائض، وقد قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة الفجر معها، وقضى سنة الظهر وحدها، وكان هديه صلى الله عليه وسلم قضاء السنن الرواتب مع الفرائض» (زاد المعاد: ٣/٣١٦).

وعن ابن أبي مريم رضي الله عنه قال: «كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر، فأسرينا ليلة، فلما كان في وجه الصبح نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فنام ونام الناس، فلم نستيقظ إلا بالشمس قد طلعت علينا، فأمر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- المؤذن فأذن، ثم صلى الركعتين قبل الفجر، ثم أمره فأقام، فصلى بالناس» (رواه النسائي وصححه الألباني).

وفي رواية للنسائي من طريق نافع بن جبير عن أبيه بلفظ: «..فضُرب على آذانهم حتى أيقظهم حرُّ الشمس فقاموا، فقال: توضئوا، ثم أذن بلال فصلى ركعتين، وصلوا ركعتي الفجر ثم صلوا الفجر». قال الألباني: صحيح الإسناد.

فوجه الدلالة من هذه النصوص ثبوت قضاء سُنَّة الفجر الراتبة قولاً وفعلاً عن النبي صلى الله عليه وسلم.

٢- سنة صلاة الظهر: عن عائشة رضي الله عنها: «أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا لم يصل أربعًا قبل الظهر صلاهن بعدها». (رواه الترمذي، وقال الألباني: حسن).

فهذا نصٌّ في قضاء سنة الظهر القبلية الراتبة منها والملحقة؛ لأن الراتبة ركعتان والملحقة ركعتان، فهما أربع ركعات.

وعن كريب مولى ابن عباس: أن ابن عباس، وعبد الرحمن بن أزهر، والمسور بن مخرمة أرسلوه إلى عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم؛ فقالوا: اقرأ عليها السلام منا جميعًا وسلها عن الركعتين بعد العصر وقل: إنا أُخبرنا أنك تصلينهما، وقد بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عنهما. قال ابن عباس: وكنت أصرف مع عمر بن الخطاب الناس عنها. قال كريب: فدخلت عليها وبلغتها ما أرسلوني به. فقالت: سل أم سلمة فخرجت إليهم فأخبرتهم بقولها، فردوني إلى أم سلمة بمثل ما أرسلوني به إلى عائشة؛ فقالت أم سلمة: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهى عنهما، ثم رأيته يصليهما، أما حين صلاهما فإنه صلى العصر ثم دخل وعندي نسوة بني حرام من الأنصار فصلاهما فأرسلت إليه الجارية. فقلت: قومي بجنبه فقولي له: تقول أم سلمة: يا رسول الله، إني أسمعك تنهى عن هاتين الركعتين، وأراك تصليهما؟ فإن أشار بيده فاستأخري عنه. قال: ففعلت الجارية فأشار بيده فاستأخرت عنه، فلما انصرف. قال: يا بنت أبي أمية سألت عن الركعتين بعد العصر، إنه أتاني ناس من عبد القيس بالإسلام من قومهم فشغلوني عن الركعتين اللتين بعد الظهر فهما هاتان». أخرجه البخاري ومسلم.

وعن أم سلمة قالت: شُغِلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الركعتين قبل العصر فصلاهما بعد العصر. (أخرجه النسائي قال الألباني: حسن صحيح).

فهذان نصان في قضاء سُنَّة الظهر الراتبة البعدية.

٣- سنة صلاة العصر: وقد جاء في هذا حديث أبي سلمة بن عبد الرحمن أنه سأل عائشة عن السجدتين اللتين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصليهما بعد العصر؟ فقالت: «إنه كان يصليهما قبل العصر، ثم إنه شُغل عنهما أو نسيهما فصلاهما بعد العصر، وكان إذا صلى صلاة أثبتها». (أخرجه مسلم والنسائي).

فهذا نصٌّ في قضاء سُنَّة العصر القبلية، والاقتداء بما فعله النبي صلى الله عليه وسلم متعين، ولأن النهي بعد العصر خفيف لما روى في خلافه من الرخصة، وما وقع من الخلاف فيه.

والمتأمل يرى أن النصوص قد ذكرت وقائع من قضاء السنن الراتبة والملحقة، وهي ليست للحصر، وإنما تدل على مشروعية قضاء السنن الراتبة كلها، والسنن الملحقة بها كلها.

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

بحارُ الفِتنِ وسُفُنُ النّجاة

وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً أَتَصۡبِرُونَ ۗ

إعداد **د. عماد عيسى**

المفتش بوزارة الأوقاف

الحمد لله على فضائله، ونستَوْهبُه معونةَ على أداءِ فرائضه ونَوافِله، ونصلّي ونسلّم على مَنْ نافَتْ على الاَستقْصاء خصَالُه، وجلّتْ عن الإحْصَاءِ شمائلُه وخلالُه، ومن تَبعَه واقْتَفى أَثَرَهُ فكُلٌّ أولياؤُهُ وآلُه.

وبَعدُ، فأَنْوَاعُ الْفتَنِ تجلُّ عن العَدّ، وتَعزُّ على الاسْتقصاءِ وَالحصْر؛ إذْ إنّها كأمْواج البَحْر تلاطُمًا وتفاقُمًا وتطاوُلًا وتصاوُلًا، بل كزَبَده كثْرَةً وتكاثرًا، لهذا لا يكفيها الوصف مجمَلًا، ولا يقال فيها قولًا مرسلًا، بل لابُدّ أن يُفَصَّلَ القولُ فيها ويحصَّل، ويُطالُ فيه ويُوَصَّل، ونحن فيما نستقبل من مقالاتنا ونطالع منها في قابل أيّامنا سنتَتَبّع بعضَهَا كشْفًا لِخَبايَاها وعلاجًا لِخَفَايَاها، وهذا الأمرُ قَصْرُه عَسيرٌ، وحصرُهُ صعبٌ غيرُ يسير، وقد لا يُمكن الوصولُ إلى الغَاية منه؛ إذْ كلُّ شيء من الْخَير والشّرّ قد يكون فتنَةَ للعبْد، فالعذر إلى من وقف على شيء فاتني مبْذُول، وهو عند الكرام مقْبُول، وأسألُ الله توْفيقًا، وأن يَجْعلَني لِمُعَالَجَة هذه الْمُهمَّة جَديرًا وخليقًا، فهو الْمُعين على سُلُوك سُبُل السّلام، والسّير فيها وبُلُوغ الْمَرام، وهو سبحانه في ذلك الْمَأمُول، ومنه الإثابَة على سَائر الأعْمَال، وإليه الْمَرْجع وبيْن يديْه الْمُثول، ومنْهُ وعليْه القَبُول.

خطرُ هذه الفِتْنة:

هذه الفتنة كالبحْر الأُجاج، المضطرب الأمْواج، واستحالَةُ الْمِلْح الأجَاج إلى عَذْب فُرَات غايةٌ في الْمَشَقّة ونهايةٌ في العَنَت بعيدةُ الشُّقّة، وقد ورد في الحديث عَنْ حُذَيْفَةَ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّاب رَضِيَ اللّٰه عَنْهُ، قَالَ: أَيُّكُمْ يَحْفَظُ قَوْلَ رَسُولِ اللّٰه صَلَّى اللّٰه عَلَيْه وَسَلَّمَ في الفتْنَة؟ فَقَالَ حُذَيْفَةُ: أَنَا أَحْفَظُ كَمَا قَالَ، قَالَ: هَات، إنَّكَ لَجَريءٌ، قَالَ رَسُولُ اللّٰه صَلَّى اللّٰه عَلَيْه وَسَلَّمَ: "فتْنَةُ الرَّجُل في أَهْله وَمَاله وَجَاره، تُكَفِّرُهَا الصَّلاَةُ، وَالصَّدَقَةُ، وَالأَمْرُ بالْمَعْرُوف، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ"، قَالَ: لَيْسَتْ هَذه، وَلَكن الَّتي تَمُوجُ كَمَوْجِ البَحْرِ" رواه البخاري (٣٥٨٦).

ولا يشعر بهذا الخطر إلا من أشرقتْ شمسُ

الإيمان على قَلْبه، وانجابَتْ عنه سحائبُ غيِّه، ومن عرف التاريخ وقرأ وقائع أيام الله ثم خاف على نفسه وعمل على الخلاص لها من الفتن، وأدمن الدعاء، وألح في طلب المخرج، وحرص على المهرب والمفرَ.

من لم يبتْ والبينُ يصدَعُ قلبَه
لَمْ يدْرِ كيف تُفَتِّتُ الأكبادُ

ولكي تستعين على توقِّي هذا الخطر لابُدَّ أنْ تلجَأ إلى الله تعالى أوّلًا وتتضرّع إليه، وتدعُوه تضرُّعًا وخُفْيَة، وتُنَاديه نِدَاءً خَفيًّا، ثُمَ تَنْظُر بقلْبك، وتستعين بفكْرك وتُراجع عقلَك وتُحدِّد رؤيَتَك وتُجدِّد رَويّتَك وتَستنجد بفَهْمك.

إنَّ الْحَديثَ عن فتنة النَّاس بعضهم ببعْض حديثٌ ذو شُجُون من جهة لأجْل ما فيه من كلِّ جديد وحديد، ومن جهة أخرى هو أمرٌ جللٌ لِمَا يكونُ فيه من أحوال كالأوحال، ووقائعَ وأحْداث ونوازل تفوقُ تصوُّر الْمَنازل، ذلك أن هذه الفتنة منبئةٌ عن ودائع القُلوب، وكاشفَة عن ذَوات الصُّدور، وهلْ كانَ من دَوَران أحْداث الزَّمان، وتداوُل الأيّام، وتقلُّب الأحْوَال إلّا من جرّاء هذه الفتْنة.

فمَنْ نَجَا منها كان من السُّعداء الألبَّاء، والموفّقين الفهمَاء، ومن انغَمَس فيها إلى الأذْقَان عاشَ على جَهْله الْمُقيم، ومات على ضلَاله القَديم حتى يَلْحقَ بالأشْقياء، أو مرضَ مرضًا يصيرُ به حرضًا أو يكون من الهالكين.

إنَّ هذه الفتنةَ غُصّةٌ لا تُطاقُ؛ لأنّها موصولَةٌ بالتّجرّي مَبْتُوتةُ الصّلة بالتَّحري، والتحذير منها واجب أكيد، فرُبَّمَا كان في ذلك شفاءُ الغَليل وبُرْءُ العَليل.

لَعَلَّ عتبَكَ محمودٌ عواقِبُهُ
ورُبَّمَا صحّت الأجْسامُ بالعِلَلِ

والذي صعّب شأنها أنها أهملت من جهة العلاج، وتُركتْ معالَجَتُها حتى اسْتَمْكنت من المسلمين، وتجذَّرتْ في أخلاقهم، وتأصّلتْ في طباعهم، فلهذا عزّ دواؤُها وَقلَّ شفاؤُها. ولو نظروا في مؤداها وتبيَّنوا عاقبَتها لَمَا ورَدُوا حتّى يعرفُوا الصّدَر، بل لعملوا على البناء ولتركوا الهدم وذلك لقلة البناة وكثرة الهادمين واليوم ذهب البُنَاة إلا النّزرُ اليسيرُ وبقي مَن يهدم وهم الجمُّ الغَفير فلا حوْلَ ولا قُوّةَ إلا بالله العَزيز الْحَكيم.

مَتى يَبْلغُ البُنْيانُ يومًا تَمَامَه
إذا كنتَ تَبْنيه وغيرُك يهدمُ
مَتى يَنتَهي عن شَيْءٍ مَنْ أَتَى به
إذا لَمْ يكنْ علَيْه منهُ تَنَدُّمُ

لقد أعرَضَ عن ردِّها كلُّ ناظر، وترك صدَّها كلُّ راغب حتى نسجَتْ عليها-من طُول الإهْمَال - العناكب، فهل من فاتح لِمُغلَق معانيها، وكاشف عن غامضها وخافيها؟

إنّ من يقومُ على هذا الثّغر لقائمٌ بعمل صالح، ومُشْتغلٌ بمَتْجَر رابح، وسالكٌ مسلكًا من أفضل المسالك، وناهجٌ نهجًا يُنَجِّي من أكثر الْمَهالك، فهل من مستعدٌ ومشمِّر لها؟

كثرة الفتن وفشُوّها:

وقد انتشرتْ هذه الفتنة بين الجمهور حتى بَهرتْ العقُول، وتناكر الناس وفسد تصورهم ومرجوا فصاروا أشتاتًا، فلم يعودوا كما كانوا لحمة واحدة، أو يدًا واحدة، بل تفرقوا تفرُّقَ سَبأ، فأصبحتْ القُلوب تغْلي كالقُدُور، بدليل ما تغْرفُه الألْسنة منها، وما تَرْمي به العبَاد من الإفْك البيِّن، والزور الذي ليس بالهيّن، والبهتانَ الْمُبين والقذْف الْمُهين، فضلًا عمّا تَعْنيه النَّظرات، وما تحملُه الظُّنونُ الكواذبُ الْمُزلَة- "والظَّنُّ أكْذَبُ الْحَديث" كما قال صلى الله عليه وسلم- وما تَسُوقُ إليه الأوْهامُ الْمُضلّة حتى تنغَّصت الْحَياة وعادَتْ لذّاتُها ألَمًا وصارتْ أطَايبُها خَبَثًا، وذهب طيبُ العَيْش وتكدَّرَ الصَّفْو، ممّا جعَل الْمرءَ يحْكُم على زماننا بإعْضَال دائه وتعذُّر شفَائه، ولله الأمر من قبلُ ومن بعْد.

وهكذا ضُرِبَتْ قلوبُ النّاس بعضِهم ببعضٍ كما كان من بني إسرائيل حينَما تركُوا الأمْر بالْمَعْرُوف والنّهي عن الْمُنْكر، تنكرت طباعهم وفساد الطباع يصعب إصلاحه.

إذا كان الطّباعُ طباعَ سَوْءٍ
فلا أَدَبٌ يُفيدُ ولا أديبُ

صعوبَةُ النّجاة منها:

إذا رجع المرء إلى نفسه وتأمل هذه الفتنة علم علمًا لا يعترضُه شَكٌّ، ولا يعتوِرُهُ امْتراءٌ أنّه إذا طال الأَمَدُ شَقَّ الوصولُ إلى الغرض وبعُد، وأنّ طولَ مدّة الْمَرَض بابْن آدم تُفسدُ مزَاجَه وطبيعتَه، فلو أنّه بادرَ بالتّداوي لَحَاصر الدّاء بالدّواء، لكنّ الآفةَ أنّ الْمَرضَ طالَ بالأمّة وتغَلْغل فيها، وحَلَّ في كَوَامنها حتى تحكّكتْ عقاربُه بأفاعيه، والتبست أسبابُه واختلطتْ دَوَاعِيه.

وهذا ما نزل بالمسلمين؛ إذْ إنّ هذا الدّاءَ العُضَال بدأ يَسْري فيهم منذُ أزْمان حتّى غَلب عليهم، ولذا يُحاولُ الْمَرءُ مستعينًا بالله أن يلجَ مَوْلِجًا أو يجد مَخْرَجًا ليذْهَبَ إلى طَريق النّجاة من هذه الأمْراض فلا يَكادُ يصلُ إلى شَيْء من ذلكَ إلّا بعد الفَيْنة والفَيْنة.

لو نقّب الأرضَ باغٍ غيرَ ذاك له
معنًى، وصعّد يَغْلُو في ترقيه
ما عاد إلّا بخُسرٍ في تطلُّبه
ولا رأى غيرَ غيٍّ في تَبَغّيه

وذلك لأنّ فتْنة الناس بعضهم ببعض قد دخلتْ كل بيْت، وسلكَتْ كلَّ فجّ، وأمَّتْ كلّ جِهَة، ووردَتْ كلَّ مورِد، وصدرَتْ كلَّ مصْدر، وغَلَبَ النّفاق، وانتَشَر الخلافُ والشّقاقُ، حتّى عُدم الوفَاق، وانعَدَم الاتّفاقُ إلّا في ما يسَّر الله تعالى، ومن عَايَنَ أبْصر، ومن ذَاقَ عَرَف، فاللهُمّ اكْفنا نَوَائبَ الزّمان، ونَوازلَ الحدَثان، وأنتَ الْمُستعان، وعليكَ التُّكْلانِ.

عَنْ أَبِي سَعِيد الخُدْرِيِّ رَضِيَ الله عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ: "يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ الْمُسْلِمِ غَنَمٌ يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الجِبَالِ وَمَوَاقِعَ القَطْرِ، يَفِرُّ بدِينه منَ الفتَن" (صحيح البخاري ١٩).

إنَّ الْمَرء لَيَخْشَى عند تصوُّر هذه الفتنة، ويخاف بالنظر في عواقبها أن يكون كلامُه كلُّه عَويلًا وزَويلًا، أو أن يصيرَ جلُّه تَشاؤمًا وتطيُّرًا، لكنّا نحاولُ أن نَبُثّ روحَ الثّقة مع هذا الفَزَع الذي يُلِمّ بنا، وأن ننشرَ التّفاؤُل مع ذلك الخَوف الذي أحاطَ بنا، وأنْ يَشُوب هذا ذاك، وأنْ نخلطَ معنًى بمَعنًى، وهذا خيرٌ من أن نغتَرّ بالثّناء الكاذب أو أن ننخَدعِ بالإطْراءِ الْمُتَجوّز أو نقنط من رحمة الله أو أن نستيئس ونظن بالله الظُّنونَا.

وبعضُ السّمّ ترياقٌ لبعضٍ
وقد يشْفِي العُضالُ من العضالِ

ومما يزيد النجاة صعوبة قلة الصالحين وندرة الرفقاء المصلحين وذهاب الطيبين حتى بقيت في الناس بقية لا تعرف من الحقّ رسمًا، ولا تُقيم في مقاطع الْحُقوق حُكْمًا بلْ أكثرُهم يتبع الآراءَ المخترعة، والأحوالَ المبتدعة.

السعادة في اجتناب الفتن:

في بادئ الأمر وعند بادي الرأي يظن الناس أن السعادة في المال والعرض الزائل؛ فإذا جاءت الفتن ومواطن الإشكال قام البرهان للمرء أن السعادة في المخلص من الفتن فاهتدى لرشده وفطن لما أضاع من حظه في السعي للآخرة.

عَن الْمقْدَاد بْن الْأَسْوَد، قَالَ: ايْمُ اللّه، لَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ يَقُولُ: "إنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفتَنَ، إنَّ السَّعيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفتَن، إنَّ السَّعيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفتَنَ، وَلَمَنْ ابْتُلِيَ فَصَبَرَ فَوَاهًا" (رواه أبو داود ٤٢٦٣).

وللحديث بقية عن الأسباب والعلاج، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

السلفية

مقدمة عن مصطلح السلفية

إعداد **د. أحمد منصور سبالك**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وبعدُ:

ما زلنا أيها القارئ الكريم في ساحة الفكر، التي تكلمنا عنها في مرات سابقة، وهذه المرة سنتكلم عن مصطلح شاع ذكره في الآونة الأخيرة، وتكرر قوله على ألسنة كثير من الناس، الموافقين له والمخالفين أيضًا، سنلقي عليه الضوء، ونتعرف عليه ونلتمس معناه، حتى نكون على بينة عندما نسمعه، أو نسمع عنه.

ذاك هو مصطلح: السلفية:

من وجهة نظري فإن هذا المصطلح ظُلم كثيرًا، من الموافِق قبل المخالِف، وربما كان ظُلم الموافق له هو السبب في ظلم المخالف له.

فالموافق- لا أقول الكل، لكن البعض- لم يحمله بحق، وبالتالي لما عرضه لم يعرضه بحق؟ فظلمه مرتين، مرة في حمله، ومرة في عرضه.

وتوقفت كثيرًا في تسمية هذا المقال:

هل أسميه: الفكر السلفي في الميزان، ثم رجعت وقلت كلامي تحت هذا العنوان يخص، وما أردت هذا.

وقلت: هل أسميه: حقيقة السلفية.

فربما هذا يكون وجيهًا بعض الشيء، لكن المضمون سيدل على المراد، حتى وإن لم أضع العنوان.

فأتمنى من الموافق لهذا المصطلح أن يقرأ بتجرُّد تام وبإنصاف، دون القراءة التي توضع في موروثات وصلنا إليها وألفنا عليها، وذلك حتى نصل معًا لنتيجة نُرضي بها ربنا في علاه.

ولا أطلب من المخالف هذا؛ لأن موقفه مُعلن وواضح، لكن إن تجرد وقرأ ربما يصل معنا.

فأقدم اليوم بمقدمة لهذا الموضوع دعتنا الحاجة الماسة إليها، وهي المرور على حديث معاذ رضي الله عنه عند مسلم:

لما كان رديف النبي صلى الله عليه وسلم على دابته، ودار الحوار بينهما على الحقوق، وسأل النبي صلى الله عليه وسلم معاذًا سؤالين:

الأول: أتدري يا معاذ ما حق الله على العباد؟

الثاني: أتدري يا معاذ ما حق العباد على الله؟

جمع النبي صلى الله عليه وسلم في هذين السؤالين بين الحقوق والواجبات، وبيّنهما بيانًا واضحًا شافيًا لا لبس فيه، ولا يختلف عليه العقلاء.

رد معاذ على السؤالين: الله ورسوله أعلم.

لكن إجابته صلى الله عليه وسلم اختلفت وكانت في الأولى: أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا.

وفي الإجابة على الثاني قال: أن يدخلهم الجنة.

من طيّات هذه الكلمات أخذنا تعريف كلمة (الدِّين)، وهي مأخوذة عند العرب من (الدَّيْن)، ومعلوم أن هذه اللفظة لها أركان:

دائن- مدين- الدَّيْن (نفسه).

بالجمع بين ما نأخذه من كلمات الحديث السابق، وبين تعريف العرب لهذه اللفظة نقول:

الدِّين (بكسر الدال المشددة): هو العلاقة بين الإنسان وربه، تفرض عليه هذه العلاقة فعل أمور تسمى (واجبات)، وله بهذا عند ربه (حقوق).

وحتى دائرة المعارف الغربية ما زادت على هذا في تعريف الدِّين إلا أنها فتحت التعريف بقولها:

علاقة بين ذات (الرب)، وذوات (العباد)، تفرض هذه العلاقة أمورًا حتى وإن كانت عينية على العباد.

فخلاصة الأمر أن الدين: هو الصلة بين المسلم وربه، وما في هذه الصلاة من واجبات عقدية وعملية يقوم بها المسلم يرجو من ربه أن يُدخله الجنة.

ولهذا نرى أن من وافق المصطلح وانتسب إليه، لا بد أن الأصل هو مرضاة الله تعالى، وأيضًا من خالف المصطلح لما رآه من أصحابه أو المنتسبين إليه أنه على طريقة ليست صحيحة خوفًا منه أن لا يرضي ربه، فتأخذ منهجًا آخر وطريقة أخرى.

وهذا الاختلاف هو السبب في أن وجدنا: الموافق والمخالف للمصطلح.

لكن الأصل أن الكل يقول أنه: عابد لله، وأنه: مسلم، وأنه: مؤمن، و... إلخ.

وهنا أتذكر قول الشاعر:

كلٌ يدعي وصلاً لليلى
وليلى لا تقر لهم بذاك

فهل ستقر ليلى لأحد الطرفين بالوصل؟!

مع الفارق في التمثيل طبعًا.

فلا شك السؤال الأصح: من على الطريق المستقيم؟ ومن المخالف؟

هذا السؤال يجب على كل مسلم أن يجد في نفسه إجابة عليه، فإن كان على الطريق المستقيم يثبت عليه، ويطلب الثبات من الله عليه، وإن كان على غير ذلك فعليه الرجوع للحق وللطريق الصحيح.

ثبتنا الله تعالى واياكم على الحق. آمين.

كل هذا وغيره سبب في الكلام على هذا المصطلح، ولما شاع عليه الكلام في الآونة الأخيرة-كما ذكرت في بداية المقال- بين المحق والجافي، بين من تكلم بإنصاف ومن تكلم بغير ذلك، بين من غالى فيه، ومن جافى فيه، بين من أفرط ومن فرَّط فيه.

ولهذا سأبدأ بإذن الله في المرة القادمة الكلام على هذا المصطلح، وبيان معناه بين الخلفيات القديمة والموروثات، وبين مفهومات عصرية لعصرنا الحاضر لهذا المصطلح، حتى أصل إلى إشكالية الإجابة عليها هي النتيجة المبتغاة.

هل: السلفية منهج حياة؟ أم فكر، أو تيار، أو حركة، أو حزب؟

سائلين الله تعالى أن يجنّبنا واياكم الزلل، ويرضنا واياكم على الحق، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلّ اللهم وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الأمثال في القرآن

مثل المشرك كأنما خر من السماء

إعداد **مصطفى البصراتي**

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد:

فمع مثل جديد من الأمثال القرآنية، وهو في الآية (٣١) من سورة الحج، وهو قوله تعالى: «حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيۡرَ مُشۡرِكِينَ بِهِۦۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ» (الحج: ٣١).

المعنى العام

في هذه الآية ضرب الله للمشرك مثلاً في ضلاله وهلاكه وبُعده عن الهدي وسقوطه من رفيع الإيمان إلي حضيض الكفر، وتخطف الشياطين له من كل جانب؛ كمثل من سقط من السماء؛ فإما أن تخطفه الطير فتقطَع أعضاءه، وإما أن تأخذه عاصفة شديدة من الريح فتقذفه في مكان بعيد أشد البعد، ولهذا جاء في حديث البراء: «أن الكافر إذا توفته ملائكة الموت وصعدوا بروحه إلي السماء فلا تُفتح له أبواب السماء، بل تطرح روحه طرحًا من هناك». ثم قرأ الآية. (رواه أحمد بإسناد صحيح) (وانظر: تفسير ابن كثير).

معاني المفردات:

حنفاء: جمع حنيف، وهو المخلص لله في العبادة.

غير مشركين به: يجوز أن تكون حالاً أخرى، ويجوز أن تكون صفة لقوله (حنفاء).

خر من السماء: الخرور السقوط.

تخطفه: والخطف: أخذ الشيء بسرعة.

أو تهوي به الريح: تخيير في نتيجة التشبيه.

السحيق: البعيد، ومنه قولهم: أسحقه الله، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم (فأقول سُحْقًا سُحْقًا). (المحرر الوجيز لابن عطية- والتحرير والتنوير بتصرف).

المعنى التفصيلي:

بعد أن نهى الله عباده عن عبادة الأوثان وقول الزور في الآية السابقة أعقب نهيهم عن الأوثان وقول الزور، بأمرهم بأن يكون الناس حنفاء لله أي مخلصين له الدين. منحرفين عن الباطل، مستقيمين، أو مائلين إلى الحق وهو توحيد الله ونبذ الشرك بالله، فإن الشرك جرم عظيم، ومن يشرك مع الله إلهًا آخر، ويعبد غيره، فقد خسر خسرانًا عظيمًا، وهلك هلاكًا مبينًا، وهو في شركه شبيه بمن سقط من جو السماء، فتتخطفه الطيور، وتقطعه وتمزقه في الهواء، أو تعصف به الريح في مكان بعيد مهلك لا خلاص له منه ولا نجاة. (التفسير الوسيط للدكتور وهبة الزحيلي- بتصرف).

وقال ابن القيم رحمه الله: «فتأمل هذا المثل ومطابقته لحال من أشرك بالله وتعلق بغيره، ويجوز ذلك في هذا التشبيه أمران:

أحدهما: أن تجعله تشبيهًا مركبًا، ويكون قد شبه من أشرك بالله وعبد معه غيره برجل قد تسبب إلى هلاك نفسه هلاكًا لا يُرجى معه نجاة، فصور حاله بصورة حال من خرَّ من السماء، فاختطفته الطير في الهواء، فتمزق مزقًا في حواصلها، أو عصف به الريح، حتى هوت به في بعض المطارح البعيدة، وعلى هذا لا يُنظر إلى كل فرد من أفراد المشبه ومقابله من المشبه به.

والآخر: أن يكون من التشبيه المفرَق، فيقابل كل واحد من أجزاء الممثل بالممثل به، وعلى هذا فيكون قد شبه الإيمان والتوحيد في علوه وسعته وشرفه بالسماء التي هي مصعده ومهبطه، فمنها هبط إلى الأرض، وإليها يصعد منه، وشبَّه تارك الإيمان والتوحيد بالساقط من السماء إلى أسفل سافلين من حيث التضييق الشديد والآلام المتراكمة، والطير الذي تخطف أعضاءه، وتمزقه وتقلقله إلى مظان هلاكه، فكل شيطان له مزعة من دينه وقلبه، كما أن لكل طير مزعة من لحمه وأعضائه، والريح التي تهوي به في مكان سحيق هو هواه الذي يحمله على إلقاء نفسه في أسفل مكان وأبعده من السماء». (بدائع التفسير لابن القيم ٣/ ٢١٠، وإعلام الموقعين ١/ ٢٣٤).

نسأل الله تعالى أن يحيينا ويميتنا على التوحيد الخالص، وينجينا من الشرك وأهله؛ إنه ولي ذلك والقادر عليه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عام هجري مبارك

الأسرة المسلمة مع عام هجري جديد

إعداد **جمال عبد الرحمن**

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه، وبعد:

فإن الله سبحانه الذي خلق كل شيء فقدره تقديرًا، كان ممن خلق وقدر الليل والنهار، الذي هو مكون الشهور والدهور، وقد قال ربنا جل وعلا: « إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرٗا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوۡمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ حُرُمٞۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُۚ فَلَا تَظۡلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمۡ » (التوبة: ٣٦). وبانتهاء شهر ذي الحجة يكون قد مر عام كامل من عمر الأمم والتاريخ، فما موقف كل أسرة مسلمة مع انتهاء العام الأربعين بعد الأربع مائة والألف من هجرة النبي محمدٍ صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، وبزوغ شهر جَديد هو أول شهر في العام الهجري الجديد؟

الاعتبار بمرور الأيام:

ربما يكون مجيء العام الجديد عند بعض الناس احتفالاً بميلاد أحد أفراد الأسرة، وإن كان لديهم شيء أفضل من ذلك فترى من يستقبل العام الهجري كمناسبة سنوية باحتفال بمروره واستقبال عام آخر، مع ما يصحب ذلك مما يسمونه المواسم والأطعمة واللحوم والذبائح وغيره، وقد يكون عطلة تعطل فيها الأعمال في بداية العام الجديد، وكلها أشياء لا هي تعبدية من جهة، فتنفع في الآخرة، ولا هي دنيوية مفيدة في زيادة الإنتاج أو الصناعة أو التوعية والثقافة، وإنما هي العادات والتقاليد التي إذا تدبرها العاقل لم يجد لها سنداً صحيحاً عن أهل المنهج الرباني، ولا يجد لها نفعاً في المجال الإنساني، وبالتالي لا يبقى إلا معرفة أنها أموال تنفق وأوقات تضيع ومصالح تعطل.

إن شأن الهجرة لشديد:

علىٍ الوالد المربي والأم المربية أن يعرفا، وأن يعلِّما أولادهما أن شأن الهجرة شديد، وهذا كلام معتبر حيث أنه صدر من سيد البشر، محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم؛ كما جاء بصحيح البخاري رحمه الله من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه يحدث عن سيده وسيدنا محمد رسول الله وقد جاءه أعرابي يسأله قال: يا رسول الله؛ أخبرني عن الهجرة؟ فقال صلى الله عليه وسلم: ويحك؛ إن شأن الهجرة شديد، فهل لك من إبل؟ قال: نعم، قال: فاعمل من وراء البحار فإن الله تعالى لن يترك من عملك شيئًا».

وهنا يبين النبي صلى الله عليه وسلم أن الهجرة تعني مفارقة الأهل والوطن، وقبل ذلك

مفارقة السوء وأهله، ولشدة ذلك على الإنسان حين يفارق أهله ووطنه، أرشده النبي صل الله عليه وسلم أن يجتهد في إبله وعمله ويعمل من وراء البحار؛ وهي القرى، والقرية يقال لها البحرة لاتساعها، فأمره أن يجد ويجتهد في عمله والله تعالى سيثيبه على هذا العمل ولن ينقصه من أجره وثوابه شيئًا.

وفي رواية أخرى عنه عند الإمام أحمد رحمه الله أن النبي صلى الله عليه وسلم لما سأله: فهل لك من إبل، قال نعم، فقال له عليه الصلاة والسلام فهل تؤدى صدقتها؟ قال: نعم». إذًا فالنبي صلى الله عليه وسلم يرشد الأمة أن شأن الهجرة جديد التي هي ترك الأوطان والأهل شديد على النفس، وأن هذه الهجرة قد مضت لأهلها وانتهت أهدافها بفتح مكة المكرمة، ومن أراد الأجر والثواب فليتقن عمله، وليتحر نفع عباد الله، وليؤدي زكاة ماله، ويلتزم بشرائع الإسلام، وإن الله تعالى حينئذ إذن سيوفيه أجره في الدنيا والآخرة كما قال تعالى شأنه: « مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ » (النحل: ٩٧).

النية الصالحة تحول العمل الدنيوي إلى عبادة:

إن كل عمل قل أو كثر إنما يكتسب قيمته من دوافعه وبواعثه وخلوص النية فيه لله عز وجل، وقد روى الإمام الطبراني أن رجلاً مر على النبي صل الله عليه وسلم فرأى أصحاب رسول الله صل الله عليه وسلم من جده ونشاطه فقالوا: يا رسول الله، لو كان هذا في سبيل الله؟، فقال النبي صل الله عليه وسلم: ما تعدون في سبيل الله إلا القتال؟ إن كان خرج يسعى على ولده صغاراً فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى رياء ومفاخرة فهو في سبيل الشيطان.

والإسلام قرن العمل بالجهاد في قوله تعالى: «وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله، وآخرون يقاتلون في سبيل الله» (المزمل: ٢٠).

والواجب على الأبوين تعليم أبنائهما شرف العمل ومكانته وأنه سبب لعفة الإنسان عن سؤال الناس وعن نظرتهم إليه على أنه عاطل يلهو اللهو الباطل. كما يعلمانه أن العمل مهما كان في دنيا فإن دوافعه تحيله إلى عمل يرضي الله سبحانه فيأجر صاحبه عليه عظيم الأجر، خاصة إذا واظب في أثناء عمل الدنيا على حق الله سبحانه وتعالى، ولهذا لما سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن عمل الأعرابي، هل لك من إبل؟ وهو عمل دنيوي في شكله، سأله صلى الله عليه وسلم سؤالاً آخر مهماً، هو حق لله تعالى، فقال: «هل تؤدي زكاتها»؟، ذلك لكيلا تطغى أعمال الدنيا على أعمال الآخرة، لأن بعض الناس يجلسون للأعمال الدنيوية ويضيعون الصلاة وأوقاتها؛ فإذا سألتهم قالوا: العمل عبادة، وهي كلمة ينبغي أن تكون حقاً لكن لا يراد بها تضييع حق الله إهمالاً وكسلاً وعجزاً، ونعوذ بالله من العجز والكسل كما كان يتعوذ منه صاحب الرسالة الخاتمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وإن النوم شيء مباح يستمتع به الإنسان للراحة واستعادة النشاط، وهذا أمر ظاهره الدنيا، لكنه يصير عملاً أخرويًا يؤجر عليه صاحبه إذا اقترن بنية الاستعانة به على قيام الليل، وهكذا.

الهجرة وتوزيع الأعمال على الأسرة:

لقد كانت هجرة المختار صلى الله عليه وسلم حدثًا عالميًا فيه التربية والعبرة، وفيه تعليم الأسرة. فهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه يوظف أسرته جميعها لخدمة أنبل هدف وهو الهجرة لنصر الله ورسوله، فهو يقوم بنفسه بتجهيز راحلتين له ولسيده محمد عليه الصلاة والسلام لتحملهما في طريق الهجرة من مكة إلى المدينة. فعلفهما أربعة أشهر ورق السمر انتظارًا للأمر بالرحيل إلى الوطن الجديد.

قالت عائشة رضي الله تعالى عنها: «فجهزناهما أحث الجهاز». ثم هذه أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما جهزت هي وعائشة رضي الله عنها سفرة (طعام) في جراب، فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها (رباط

وسطها) فأوكأت (ربطت) به الجراب. ولذلك كانت تسمى «ذات النطاقين». وهذا عبد الله بن أبي بكر رضي الله عنهما يبيت عند الغار عند أبيه والنبي صلى الله عليه وسلم، ثم يرحل في وقت السحر فيصبح بمكة ويطلع النهار عليه وهو بين قريش كأنه بائتٌ عندهم، فلا يسمع أمرًا يُكاد به للرسول ولأبي بكر إلا وعاه حتى يأتيهما ليلًا فيخبرهما بخبر القوم وما يقولون ويكيدون. وحديث ذلك في صحيح البخاري برقم ٥٨٠٧.

إضافة إلى ذلك دور عامر بن فهيرة رضي الله عنه مولى أبي بكر الصديق وأحد السابقين إلى الإسلام، وكان من المستضعفين الذي عُذِّبوا لما اعتنقوا الإسلام فاشتراه أبو بكر رضي الله عنه فأعتقه فصار مولًى له، وهو راعي غنم أبي بكر، كان يروح بها من الغار إلى مكة يمحو آثار أقدام عبد الله بن أبي بكر. ثم هاجر عامر بعد ذلك إلى المدينة، وشارك مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوتي بدر وأحد، وقتل في سرية بئر معونة رضي الله عنه.

المفهوم الصحيح للهجرة:

إن الذي ينظر للهجرة النبوية على أنها حدث احتفالي، وطقوس عاطفية، وخطب وعظية؛ إنه ما قدر الهجرة حق قدرها، وقد قال في شأنها زعيمها الأول صلى الله عليه وسلم: «إن شأن الهجرة لشديد». والذي يقف بالهجرة عند هذا الحد من الخطب والمباركات بالعام الجديد؛ إنه انتقص الهجرة منزلتها. وشوَّش على الأجيال فهمها والاعتبار بها، وفوت عليهم فرصة الاقتداء والاقتباس، والعبرة بسيرة سيد الناس.

وعليه فالهجرة حدث هام في تاريخ الأمة الإسلامية، يحث على الهمة والتخطيط العالي، والأخذ بالأسباب للوصول إلى أعلى النتائج وأنبل الغايات، وما قصر به جهد الإنسان ولم تبلغه حيلته؛ فالله من وراء القصد وهو الولي الحميد.

كل هذا ينبغي للمربين أن يتعلموه ويعلموه للأبناء ويدرِّسوه، بل على الآباء إثارة الغيرة عند الأبناء لتقليد السلف الصالح والاقتداء بهم في همتهم ونشاطهم. ثم بعد ذلك -وهو مهم جدا الآن- تعليمهم أن الهجرة وإن كانت مضت إلى أهلها الذين انتقلوا من مكة إلى المدينة «يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ » (الحشر:٨)، وصار الأمر كما بين صلى الله عليه وسلم: «لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا». متفق عليه من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها. لكنه قد بقي من الهجرة شطرها الثاني الذي هو أعم من هجرة الأوطان. فعن معاوية بن أبي سفيان وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن عمرو بن العاص؛ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الهجرة خَصلتان؛ إحداهما أن تهجر الشر، والأخرى أن تهاجر إلى الله ورسوله، ولا تنقطع الهجرة ما تُقُبِّلت التوبة، ولا تزال التوبة مقبولة حتى تطلع الشمس من الغرب، فإذا طلعت طُبع على كل قلب بما فيه وكُفي الناس العمل. والحديث نقله ابن كثير رحمه الله في البداية والنهاية، وحكم عليه بأنه: إسناده جيد قوي. وهو عند الإمام أحمد برقم ١٦٠٤.

وهذا المفهوم من الحديث النبوي الشريف تُصبح الهجرة فريضة على كل مسلم ومسلمة؛ لأن هجر المعاصي هو أصل طاعة الله تعالى وعبادته، ذلك الهدف الذي من أجله خلق الله تعالى الجن والإنس: « وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ » (الذاريات: ٥٦)، وعلى الوالدين والمربين تعليم الأبناء الفرار من المعصية وأسبابها تحقيقًا لقول الله تعالى: (فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ) (الذاريات: ٥٠-٥١).

ومن ترك معصية الله فقد حقق طاعة الله تعالى وعبادته. «وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا » (النساء:٦٩).

ندعو الله تعالى ونرجوه أن نبدأ عامًا جديدًا بتوبة نصوح إلى الله العلي القدير، وجمع شمل الأسرة على هذه الطاعات ومواسم الخيرات، لننال بها عند الله أعلى الدرجات ونرقى بها في فسيح الجنات. والحمد لله رب العالمين.

تحذير الداعية من القصص الواهية

الحلقة (٢٣١)

قصة مفتراة في مؤاخاة علي ابن أبي طالب رضي الله عنه

إعداد **علي حشيش**

نواصل في التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة الوعاظ والقصاص، وإلى القارئ الكريم التخريج والتحقيق:

أولا: أسباب ذكر هذه القصة:

١- اشتهار هذه القصة لوجودها في كُتب السنة الأصلية، وهي الكتب التي جمعها مؤلفوها عن طريق تلقّيها عن شيوخهم بأسانيد إلى النبي صلى الله عليه وسلم، واغترَّ بذلك القُصّاص والوعاظ حتى ظنوا أن هذه القصة من مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ لعدم درايتهم بالعلة التي في الخبر الذي جاءت به هذه القصة.

٢- ومن الأسباب أيضًا احتجاج الشيعة في دروسهم وقنواتهم بهذه القصة، ويحاجّون أهل السنة مدعين أن هذه القصة موجودة في كُتب أهل السنة من مصادر الحديث الأصلية، وحجتهم داحضة؛ لأنهم يحاجّون فيما ليس لهم به علم، وسنبرهن على أن هذا الخبر الذي جاءت بهذه القصة مردود، بل كذب مختلق مصنوع منسوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم كما تبينه الصناعة الحديثية لعلم الحديث التطبيقي.

ثانيا: المتن:

رُوِيَ عن ابن عباس قال: لَمَّا آخَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَصْحَابِهِ وَبَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، فَلَمْ يُؤَاخِ بَيْنَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَبَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ، خَرَجَ عَلِيٌّ مُغْضَبًا، حَتَّى أَتَى جَدْوَلا مِنَ الأَرْضِ فَتَوَسَّدَ ذِرَاعَهُ، فَتَسْفِي عَلَيْهِ الرِّيحُ، فَطَلَبَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى وَجَدَهُ فَوَكَزَهُ بِرِجْلِهِ، فَقَالَ لَهُ: «قُمْ، فَمَا صَلَحْتَ، إلا أَنْ تَكُونَ أَبَا تُرَابٍ، أَغضبت عَلِيٌّ حِينَ آخَيْتُ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، وَلَمْ أُؤَاخِ بَيْنَكَ وَبَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ؟ أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى، إلا أَنَّهُ لَيْسَ بَعْدِي نَبِيٌّ، أَلا مَنْ أَحَبَّكَ حُفَّ بِالأَمْنِ وَالإِيمَانِ، وَمَنْ أَبْغَضَكَ أَمَاتَهُ اللَّهُ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً، وَحُوسِبَ بِعَمَلِهِ فِي الإِسْلامِ».

ثالثا: التخريج:

هذا الخبر الذي جاءت به هذه القصة:

١-أخرجه الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (٢٦٠هـ- ٣٦٠هـ) في كتابه «المعجم الكبير» (٧٥/١١) ح(١١٠٩٢) قال: «حدثني محمود بن

محمد المروزي، حدثنا حامد بن آدم المروزي، حدثنا جرير، عن ليث، عن مجاهد، عن ابن عباس قال: لما آخى النبي...». الحديث.

٢- وأخرجه الحافظ الطبراني أيضًا في كتابه «المعجم الأوسط» (٤٣٥/٨) (ح٧٨٩٠) بنفس السند.

فائدة: قد يتوهم من لا دراية له بمناهج المحدثين أن هذا تكرار لنفس الحديث في الكتابين سندًا ومتنًا ففي إيجاز غير مخل نبين الفرق بين المعجمين ثقافة حديثية للقارئ الكريم، ومفتاحًا لبيان المنهج في المعجمين لطالب علم الحديث، وهذا البيان مهم جدًّا في التخريج والتحقيق:

١- فالمعجم الكبير عبارة عن مسند، ولكن بمنهج خاص.

ولما كان المسند معناه هنا «الكتاب الذي يجمع مرويات كل صحابي على حده»، فبين الحافظ الطبراني منهجه بالنسبة لمرويات كل صحابي في «المعجم الكبير»، فقال في بدء كتابه هذا: «هذا كتاب ألفناه، جامعٌ لعدد ما انتهى إلينا ممن روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرجال والنساء على حروف ألف ب ت ث، بدأت فيه بالعشرة رضي الله عنهم، لأن لا يتقدمهم أحد غيرهم، خرجت عن كل واحد منهم حديثًا وحديثين، وثلاثة وأكثر من ذلك على حسب كثرة روايتهم وقلتها، ومن كان من المقلين خرجت حديثه أجمع...». اهـ.

٢- أما «المعجم الأوسط» فقد بَيَّنَ الإمام الذهبي منهج الحافظ الطبراني فيه حيث قال في «تذكرة الحفاظ» (٩١٢/٣) (١٢/٢٧/٨٧٥): «الحافظ الإمام العلامة الحجة بقية الحفاظ أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي الطبراني مسند الدنيا، ولد سنة ستين ومائتين وسمع في سنة ثلاث وسبعين وهلم جرا بمدائن الشام والحرمين واليمن ومصر وبغداد والكوفة والبصرة وأصبهان والجزيرة وغير ذلك، وحدث عن ألف شيخ أو يزيدون، وصنف «المعجم الأوسط» في ست مجلدات كبار على معجم شيوخه يأتي فيه عن كل شيخ بما له من الغرائب والعجائب فهو نظير كتاب «الأفراد» للدارقطني بيَّن فيه فضيلته وسعة روايته، وكان يقول: هذا الكتاب روحي. فإنه تعب عليه وفيه كل نفيس وعزيز ومنكر». اهـ.

فائدة مهمة:

في التخريج والتحقيق تظهر من قول الإمام الذهبي: «تعب عليه» حيث تعب كثيرًا الحافظ الطبراني في إخراج كتابه «المعجم الأوسط»، فكثير ما يكون غرضه من إخراج الحديث من طريق شيخه بيان التفرد الذي يقع من بعض الرواة عن بعض فلا يكاد يورد حديثًا إلا ويقول عقبه: «لم يروه عن فلان إلا فلان»، «تفرد به فلان»، فيأتي في كتابه «المعجم الأوسط» عن كل شيخ بما له من الغرائب، فالكتاب في الحقيقة كتاب غرائب وهذا ما بينه الحافظ الذهبي، وذلك لجمع الأحاديث التي تفرد بها بعض الرواة عن بعض، وهو ما يسمى في اصطلاح المحدثين «الغريب البستي فهذا الكتاب يشبه كتاب «الأفراد» للدارقطني كما قال الحافظ الذهبي، وقد ظهر في هذا الكتاب سعة روايته وكثرة اطلاع الطبراني على طرق الحديث وتمييز الطرق التي اشترك فيها عدد من الرواة عن هذا الراوي، عن الطرق التي انفرد بها بعض الرواية عن بعض، وهذا الأمر لا ينقاد إلا لإمام جهبذ من جهابذة هذا الفن الدقيق الواسع، وقد تعب كثيرًا في إخراج كتابه «المعجم الأوسط» على هذه الطريقة، فما ذكرناه بيان لقول الإمام الذهبي: «فإنه تعب عليه»، وحق للإمام الطبراني أن يقول: «هذا الكتاب روحي».

رابعًا: تطبيق منهج الطبراني على حديث القصة:

١- الحديث الذي جاءت به القصة: الراوي الأعلى فيه الصحابي الجليل عبدالله بن عباس رواه عنه مجاهد وهو ابن جبر أبو الحجاج المكي، وتطبيقًا لما أوردناه آنفًا في بيان منهج الإمام الحافظ الطبراني في «المعجم الكبير»، فالحديث أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» في «مسند عبد الله بن عباس» وترتيب هذا المسند من بين مسانيد الصحابة رقم (٧٧٣)، ويبدأ في «المعجم الكبير» (٣٢٤/١٠) (ح١٠٦٢٣)، وينتهي (٢٥٧/١٢) ح(١٣٠٣٣).

والحديث الذي جاءت به هذه

القصة أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١/٧٥) (ح١١٠٩٢) من أحاديث (مجاهد عن ابن عباس)، وهذا هو منهج الإمام الحافظ الطبراني لتخريج هذا الحديث في «الجامع الكبير».

٢- تطبيق منهج الطبراني في «المعجم الأوسط» على حديث القصة، والاستفادة منه في التحقيق:

فقد أخرج الحديث فقال: حدثني محمود بن محمد المروزي، قال: حدثنا حامد بن آدم، قال: حدثنا جرير، عن ليث، عن مجاهد، عن ابن عباس، قال: «لما آخى النبي...» ثم قال عقبه: «لم يرو هذا الحديث عن مجاهد إلا الليث، ولا عن ليث إلا جرير تفرد به حامد بن آدم». اهـ.

الاستنتاج: نستنتج مما قاله الطبراني:

أ- الحديث غريب الإسناد تفرد بروايته الليث عن مجاهد.

ب- وهو غريب عن الليث تفرد بروايته عنه جرير.

جـ- والحديث تفرد به حامد بن آدم المروزي.

خامسًا: التحقيق:

١- هذا الحديث الذي جاءت به القصة أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» و«الأوسط» من حديث ابن عباس، وعلته: حامد بن آدم المروزي، وقد تفرد به، وكذلك ما فوقه من غرابة، كما بينا آنفًا، وبهذا لا توجد متابعات تامة ولا قاصرة للراوي حامد بن آدم المروزي، والمتابعة التامة: «هي ما حصلت للراوي نفسه»، والمتابعة القاصرة: هي ما حصلت شيخه فما فوقه، كذا في «شرح النخبة» (ص٣٢) للحافظ ابن حجر، وبما أن الراوي حامد بن آدم تفرد بالحديث فلا متابعة تامة له وشيخه جرير تفرد بروايته عن الليث، والليث تفرد بروايته عن مجاهد فلا متابعة قاصرة له، وتركزت العلة في حامد بن آدم المروزي.

٢- قال الإمام الحافظ إبراهيم بن يعقوب بن إسحاق السعدي الجوزجاني المتوفى ٢٥٩هـ في كتابه «أحوال الرجال» (٣٨٦): «حامد بن آدم من أهل مرو كان يكذب ويمحق في كذبه».

٣- قال الإمام الحافظ ابن عدي في «الكامل» (٢/٤٦١) (٢٠٠/٥٦٩): «حامد بن آدم المروزي من أهل مرو، وكان يكذب ويحمق في كذبه، سمعت ابن حماد يحكيه عن السعدي».

٤- قال الإمام الذهبي في «الميزان» (١/٤٤٧/١٦٧١): «حامد بن آدم المروزي كذَّبه الجوزجاني، وابن عدي، وعدَّ أحمد بن علي السليماني فيمن اشتهر بوضع الحديث».

٥- قال الحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/١١١): باب «منزلة علي بن أبي طالب ومؤاخاته»: «رواه الطبراني في «الكبير» و«الأوسط»، وفيه حامد بن آدم المروزي وهو كذاب». اهـ.

٦- الاستنتاج:

نستنتج من أقوال أئمة الجرح والتعديل التي أوردناها آنفًا: أن حامد بن آدم المروزي كذاب، وكان يكذب ويحمق في كذبه، واشتُهر بوضع الحديث، وقد انفرد بهذا الخبر الذي جاءت به هذه القصة كما بينا، وبهذا تكون القصة واهية والخبر موضوعًا.

قال الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» (ص٤٤): «والطعن بكذب الراوي في الحديث النبوي هو الموضوع». اهـ.

لذلك قال الحافظ السيوطي في «تدريب الراوي» (١/٢٧٤) النوع (٢١): «الموضوع هو الكذب المختلق المصنوع، وهو شر الضعيف وأقبحه، وتحرم روايته مع العلم بوضعه في أي معنى كان سواء الأحكام والقصص والترغيب وغيرها إلاَّ مقرونًا ببيان وضعه». اهـ.

ولبيان شدة ضعف حامد بن آدم المروزي، نقل الإمام الذهبي عن أبي داود السنجي في سؤالاته للإمام يحيى بن معين عن حديث رواه حامد بن آدم، فقال: «هذا كذاب؛ لعنه الله». اهـ.

ونقل هذا الحافظ ابن حجر في «اللسان» (٢/٢٠٦) (٨٣/٢٢٤٤) وأقره، ثم قال الحافظ: «ولقد شان ابن حبان الثقات بإدخاله هذا فيهم، وكذلك أخطأ الحاكم بتخريج حديثه في مستدركه، وذكره أبو العرب في «الضعفاء»، وفرَّق بينه وبين حامد بن آدم التلياني وهو هو». اهـ.

سادسًا: قصة أخرى حول مؤاخاة علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

هذه القصة لا تصح أن تكون شاهدًا متنًا ولا سندًا، وسنبين ذلك بالتخريج والتحقيق:

١- فالخبر الذي جاءت به هذه القصة أخرجه الحافظ ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٨/٤٢) قال: «أَخْبَرَنَا أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ الْحُصَيْنِ، أنا أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَسَنُ بْنُ عِيسَى بْنِ الْمُقْتَدِرِ، أنا أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ مَنْصُورٍ الْيَشْكُرِيُّ، نا الصُّولِيُّ، نا أَبُو عَلِيٍّ هِشَامُ بْنُ عَلِيٍّ الْعَطَّارُ، نا عُمَرُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ التَّيْمِيُّ، نا حَفْصُ بْنُ جُمَيْعٍ، حَدَّثَنِي سِمَاكُ بْنُ حَرْبٍ، قَالَ: قُلْتُ لِجَابِرٍ: إِنَّ هَؤُلاءِ الْقَوْمَ يَدْعُونَنِي إِلَى شَتْمِ عَلِيٍّ، قَالَ: وَمَا عَسَيْتَ أَنْ تَشْتُمَهُ بِهِ؟ قَالَ: أَكْنِيهِ بِأَبِي تُرَابٍ، قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا كَانَتْ لِعَلِيٍّ كُنْيَةٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَبِي تُرَابٍ، إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آخَى بَيْنَ النَّاسِ، وَلَمْ يُؤَاخِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَحَدٍ، فَخَرَجَ مُغْضَبًا حَتَّى أَتَى كَثِيبًا مِنْ رَمْلٍ، فَنَامَ عَلَيْهِ فَأَتَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «قُمْ أَبَا تُرَابٍ»، وَجَعَلَ يَنْفُضُ التُّرَابَ عَنْ ظَهْرِهِ وَبُرْدَتِهِ، وَيَقُولُ: «قُمْ أَبَا تُرَابٍ، أَغَضِبْتَ أَنْ آخَيْتُ بَيْنَ النَّاسِ، وَلَمْ أُوَاخِ بَيْنَكَ وَبَيْنَ أَحَدٍ»؟ قَالَ: نَعَمْ، فَقَالَ: «أَنْتَ أَخِي وَأَنَا أَخُوكَ».

٢- المتن به قصة أخرى وهي شتم عليّ، واقتصر على غضب عليّ بن أبي طالب لأن النبي صلى الله عليه وسلم آخى بين المهاجرين والأنصار، ولم يؤاخ بينه وبين أحد، وعلة هذا الخبر: حفص بن جميع.

قال الإمام ابن حبان في «المجروحين» (١/٢٥٦): «حفص ابن جُميع: كوفي منكر الحديث سكن البصرة يروي عن سماك ابن حرب كان ممن يخطئ حتى خرج عن حد الاحتجاج به إذا انفرد». اهـ.

وقال الحافظ ابن حجر في «التهذيب» (٢/٣٤٢): «قال الساجي يحدث عن سماك بأحاديث مناكير وفيه ضعف». اهـ.

وقال الإمام الحافظ ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (١/٢/١٧٠): «سمعت أبي يقول: حفص بن جميع ضعيف الحديث، وقال: سألت أبا زرعة عن حفص بن جميع، فقال: ليس بالقوي». اهـ.

الاستنتاج: هذه القصة الأخرى في «المؤاخاة» واهية، ولقد بينا أن علتها حفص بن جميع، وهو منكر الحديث خاصة في حديثه عن سماك فإنه يحدث عنه بأحاديث مناكير، وخرج عن حد الاحتجاج به وضعيف الحديث.

فهذه القصة التي جاءت من حديث جابر، والصحابي جابر جاء الاسم فيه مجردًا أي لم يذكر فيه اسم أبيه والصحابي هو جابر بن سمرة، لأن سماك بن حرب لم يرو عمن اسمه جابر إلا جابر بن سمرة كذا في «تهذيب الكمال» (٨/١٢٨/٢٥٦٢) للحافظ المزي وهي قصة لا تزيد الأولى التي جاءت من حديث ابن عباس إلا وهنًا على وهن كما بينا آنفًا.

سابعًا: لا علاقة بين قصة التكني بأبي تراب الصحيحة وقصة المؤاخاة الواهية:

فقد أخرج الإمام البخاري في «صحيحه» (ح٦٢٠٤)، كتاب «الأدب» باب «التكني بأبي تراب وإن كانت له كنية أخرى» من حديث سهل بن سعد قال: «إِنْ كَانَتْ أَحَبَّ أَسْمَاءِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَيْهِ لَأَبُو تُرَابٍ وَإِنْ كَانَ لَيَفْرَحُ أَنْ يُدْعَى بِهَا وَمَا سَمَّاهُ أَبُو تُرَابٍ إِلَّا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَاضَبَ يَوْمًا فَاطِمَةَ، فَخَرَجَ فَاضْطَجَعَ إِلَى الْجِدَارِ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَجَاءَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتْبَعُهُ فَقَالَ هُوَ ذَا مُضْطَجِعٌ فِي الْجِدَارِ، فَجَاءَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَامْتَلَأَ ظَهْرُهُ تُرَابًا، فَجَعَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْسَحُ التُّرَابَ عَنْ ظَهْرِهِ وَيَقُولُ: اجْلِسْ يَا أَبَا تُرَابٍ».

والحديث أخرجه أيضًا البخاري (ح٤٤١، ٣٧٠٣، ٦٢٨٠)، وكذلك مسلم (٢٤٠٩)، فهو متفق عليه.

ثامنًا: لا علاقة بين قصة منزلة علي الصحيحة، وقصة المؤاخاة الواهية:

أخرج الإمام البخاري في «صحيحه» (ح٤٤١٦)، ومسلم في «صحيحه» كتاب «الفضائل» (ح٣١) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: «خَرَجَ رسول الله صلى الله عليه وسلم إِلَى تَبُوكَ وَاسْتَخْلَفَ عَلِيًّا فَقَالَ أَتُخَلِّفُنِي فِي الصِّبْيَانِ وَالنِّسَاءِ قَالَ أَلَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ نَبِيٌّ بَعْدِي».

هذا ما وفقني الله إليه، وهو وحده من وراء القصد.

قرائن اللغة والنقل والعقل على حمل صفات الله (الخبرية) و(الفعلية) على ظاهرها دون المجاز

رد أئمة السنة على شبهات الأشاعرة في نفيهم صفة (الكلام) ودحضهم ما اعتقدوه حيال هذه الصفة

الحلقة (٥٩)

إعداد أ.د. محمد عبد العليم الدسوقي
الأستاذ بجامعة الأزهر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد: فكما سبق أن ذكرنا، فإن نقد مذهب الأشاعرة في صفة الكلام، يتوجه إلى: فساد قولهم في حقيقة هذه الصفة ونفي أن يكون الله متكلماً كلاماً حقيقياً، واطلاقهم كلامه تعالى على: المعنى النفسي القائم بذاته ليس بحرف ولا صوت.. وفي جعلهم كلامه سبحانه معنى واحد لا يتعدد.. وفي نفيهم أن يكون كلامه تعالى بمشيئة واختيار، وأن يكون بالتالي صفة فعل.

ولنبدأ بدحض الشبهة الأولى فنقول وبالله التوفيق:

١- دحض معتقد الأشاعرة في ادعائهم أن كلام الله معنى نفسي ليس بحرف ولا صوت:

إن ترداد الأشاعرة وإجماعهم المنخرم وادعاءهم أن كلام الله: (معنى نفسي قائم بذاته ليس بحرف ولا بصوت)، وقول اللقاني: إنه «معان الأمر والنهي والنداء والإخبار وغيرها التي تقوم بالنفس.. ولكن يعبر عنها بالكلام الحسي»، مخالف لإجماع أهل السنة؛ وجوابه من وجوه:

أولها: أن الكلام في الحقيقة يُطلق في لغة العرب- وكذا لدى السلف كما في شرح الطحاوية ص١٢٠- على: اللفظ والمعنى جميعاً، وليس على: المعنى فقط أو اللفظ فقط، وقد أجمع أهل العربية أن ما عدا الحروف والأصوات ليس بكلام حقيقة.

ثانيها: أنه كذلك في القرآن والسنة، كون القرآن نزل بلغة العرب ولم يخرج عن سننه وطرائقه في التعبير، وعليه فالقول بأن الكلام هو: (المعنى الذي قام في نفس الباري)، تفسير مخالف للكلام الذي دل عليه الكتاب والسنة على نحو ما هو

مخالف للغة العرب، وإنما يظهر ذلك في نحو قوله تعالى: (وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ) (التوبة: ٦)؛ حيث يستحيل أن يسمع الكافر معنى كلام الله النفسي دون الألفاظ، الأمر الذي يعني أن المراد هو: سماع الألفاظ التي تحتوي على المعنى.. وكذا في نحو قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم: (إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس)، والعلماء مجمعون على أن الرجل إذا تكلم في الصلاة عامداً لغير مصلحتها بطلت صلاته، كما أنهم مجمعون على أن ما يقع في قلب المصلي من معان النفس دون التلفظ به لا تَبطَل صلاته، فعلم باتفاق المسلمين أن الكلام النفسي ليس بكلام.

ثالثها: صريح قوله عليه السلام فيما أخرجاه في الصحيحين: (إن الله تجاوز عن أمتي ما حدَّثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم)، فقوله: (أو تتكلم) دليل على أن حديث النفس وما قام بالنفس من معان ليس بكلام، وأن ثمة فرقاً بينهما، وإخباره أنه لا يؤاخذ بحديث النفس حتى يُتكلم به، مراده باتفاق العلماء: حتى ينطق به اللسان، فعُلم أن هذا هو معنى الكلام في لغة العرب، وأن الشارع إنما خاطبنا بها.

رابعها: أن في قول معاذ فيما رواه الترمذي وجاء ذكره في صحيح الجامع (٥١٣٦): (يا رسول الله، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟)، وقوله صلى الله عليه وسلم: (وهل يكب الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم؟)، بيان واضح على أن الكلام إنما هو باللسان، وأن ما يصدر عنه هو مناط الحساب والعقاب دون ما نُحدِّث به أنفسنا.

خامسها: أن الحقيقة الشرعية- كما وضح- شأنها شأن الحقيقة اللغوية، كلاهما على أن الكلام: (هو جملة الألفاظ والمعاني)، يقول ابن أبي العز في شرحه الطحاوية ص١٢١: «فلفظ (القول) و(الكلام) وما تصرف منهما من فعل ماض ومضارع وأمر واسم فاعل، إنما يعرف في القرآن والسنة وسائر كلام العرب إذا كان لفظاً ومعنى، ولم يكن في مسمى (الكلام) نزاع بين المتأخرين من علماء أهل البدع ثم انتشر» إ.هـ.

سادسها: أن ما احتج به الأشاعرة من قوله تعالى: (وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ) (المجادلة: ٨)، جوابه: أن المراد: أنهم قالوا ذلك بأنفسهم سراً، وهذا هو الذي قاله أهل التفسير في قصة دعاء اليهود بالسام على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم إن الله في آية المجادلة قيّده بالنفس، والتقييد هنا ينافي الدلالة المطلقة للكلام بدليل قوله عليه السلام الفائت: (إن الله تجاوز عن أمتي ما حدَّثت به أنفسها ما لم.. تتكلم)، إذ أفاد قوله: (أو تتكلم) أن حديث النفس ليس هو الكلام المطلق.

سابعها: أن استشهادهم بقول عمر يوم السقيفة: (زوَّرت في نفسي مقالة)، يَرِدُ عليه أن مراده بالتزوير: تهيئة الكلام وتحسينه وتجميله، هكذا هو الأمر لدى أهل اللغة «قال الأصمعي- كما في تاج العروس-: التزوير: تهيئة الكلام وتقديره»، كذا بما يعني: أن كلام عمر كان تهيئة لما سيقوله يوم السقيفة لأبي بكر رضي الله عنهما، وبما يعني: «أنه لا يكون قولاً إلا إذا قيل باللسان، وقبل ذلك لم يكن قولاً، لكن كان مقدراً في النفس يُراد أن يُقال، كما يُقدِّر الإنسان في نفسه

أنه يحج وأنه يصلي وأنه يسافر إلى غير ذلك، فيكون لما يريده من القول والعمل صورة ذهنية مقدرة في النفس»ا.هـ من كلام شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى ٧/ ١٣٧.

ثامنها: وأما استدلالهم بقول الأخطل:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما
جعل اللسان على الفؤاد دليلاً

فهو-على حد قول ابن أبي العز في شرحه على الطحاوية ص١٢٠- «استدلال فاسد، ولو استدل مستدلٌ بحديث في الصحيحين لقالوا: (هذا خبر واحد) ويكون مما اتفق العلماء على تصديقه وتلقيه بالقبول والعمل به!، فكيف بهذا البيت وقد قيل: إنه مصنوع منسوب إلى الأخطل وليس في ديوانه؟!.. وأنه على تقدير صحته عنه فلا يجوز الاستدلال به، فإن بعض أهل الكتاب قد ضل في معنى (الكلام)، وزعم أن: (عيسى عليه السلام نفس كلمة الله واتحد اللاهوت بالناسوت أي: شيء من الإله بشيء من الناس!)، أفيستدل على معنى (الكلام) بقول واحد على غير ملة الإسلام، قد ضل في معنى (الكلام)، ويُترك ما يُعلم من معنى (الكلام) في لغة العرب؟!».

بل كيف يستقيم للأشاعرة أن يستدلوا بكلام رجل من غير ملتهم فيما هو من دينه وملته، ففي دينهم أن (كلام الله هو: المعنى القائم بذات الله الذي لا يمكن سماعه، وأما النظم المسموع فمخلوق)؟!، ثم إنه «لا ريب أن مسمى (الكلام) و(القول) ونحوهما، ليس هو مما يُحتاج فيه إلى قول شاعر، فإن هذا مما تكلم به الأولون والآخرون من أهل اللغة، وعرّفوا معناه كما عرفوا مسمى (الرأس) و(اليد) و(الرِّجل) ونحو ذلك».

تاسعها: يضاف لما سبق أن معنى البيت غير صحيح، إذ لازمه أن الأخرس يسمى (متكلماً)، لقيام الكلام بقلبه وإن لم ينطق به ولم يُسمع منه.

عاشرها: كما يضاف إليه مخالفته وتناقضه مع قول الأخطل نفسه قبل هذا البيت:

لا يُعجبنَّك من خطيب خطبةً
حتى يكون مع الكلام أصيلاً

أي: (يكون الكلام مطابقاً لما يقول)، فهذا البيت من الأخطل دالٌ على أن الكلام لا يُعدُّ كلاماً إلا إذا اشتمل على اللفظ، لكن الأشاعرة لم يأخذوا به، وأخذوا بما يُشك في نسبته إليه، وهذا- بالطبع- من الهوى المتبع، وليس من الإنصاف ولا العدل في قليل ولا كثير.

الوجه الحادي عشر: أنه عليه السلام في قوله: (أنا عند حسن ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه.. الحديث)- وهو في الصحيحين- قد فرق بين الكلام النفسي والكلام المسموع، والعطف يقتضي المغايرة، ولا دلالة لذلك سوى أنه تعالى متكلم بهذا وبهذا.

الوجه الثاني عشر: أن حاصل ما ذكره الأشاعرة في نفي الصوت، يلزم منه أن الله لم يُسْمِع أحداً من ملائكته ورسله كلامه، كما يَرِد عليه أدلة القرآن والسنة مما دلت على إسماع الله ملائكته ورسله وعباده في الدنيا ويوم القيامة، وحسبنا منها- مما هو نص في ذلك ولا يمكن حمله على غير حقيقته- ما عنون له البخاري في «باب: (وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥ

حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ) (سبأ: ٢٣) وقول ابن مسعود: (إذا تكلم الله بالوحي سَمع أهل السماوات شيئاً، فإذا فُزِّع عن قلوبهم وسكن الصوت عرفوا أنه الحق، ونادوا ماذا قال ربكم؟، قالوا: الحق)، وحديث جابر الذي فيه: (يَحشُرُ الله العباد فيناديهم بصوت يَسمعه مَن بَعُد كما يَسمعه من قَرُب: أنا الملك أنا الديان)».. وذكر فيه جملة من الأحاديث سيأتي ذكرها.

الوجه الثالث عشر: أن حاصل احتجاجهم لنفي الصوت: هو الرجوع إلى القياس على أصوات المخلوقين لأنها التي عُهد أنها ذات جوارح، وهذا يَرد عليه ما احتج به أحمد وغيره من «أن الدلائل قاطعة على أن الله لا يشبهه شيء من خلقه بوجه من الوجوه، وأنه لما كان كلامُنا غيرَنا وكان مخلوقاً، وجب أن يكون كلامه سبحانه ليس غيره وليس مخلوقاً»، «فإن قيل: كيف يتأتى أن يكون الحرف الواحد مخلوقاً وغير مخلوق)، قيل: (ليس بواحد بالعين وإن كان واحداً بالنوع، كما أن الكلام ينقسم إلى مخلوق وغير مخلوق فهو واحد بالنوع لا بالعين».

كما يرد عليه «ما لا يخفى من أن الصوت قد يكون من غير مخارج كما أن الرؤية قد تكون من غير اتصال أشعة، وأن صفات الخالق لا تقاس على صفة المخلوق، وأنه إذا ثبت ذكر الصوت بالأحاديث الصحيحة وجب الإيمان به» بلا تفويض ولا تأويل كونهما يتعارضان مع الإثبات، على ما أفاده ابن حجر في الفتح١٣ / ٤٦٣.

الوجه الرابع عشر: أن في قول الأشاعرة: (إنه يلزم من الحرف والصوت إثبات جارحة)، يرد عليه- من غير ما سبق- قوله تعالى عند أمره السماء والأرض أن تأتياه: (قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ)(فصلت/ ١١)، وليس لهما جوارح، كما يلزمهم من هذا الإلزام أن يكون إثبات السمع والبصر- وهما مما أثبتوه بحقه تعالى ضمن صفات المعاني- بجارحتين.

الوجه الخامس عشر: كما يَردُ على التذرع بجواز القول بالحدوث «في مقام التعليم» كون اللفظ الذي نقرؤه حادثاً على ما صرح بذلك البيجوري في شرحه على الجوهرة ص٧٩- إضافة لما ذكر هنا-: أن هذا مفض إلى القول بخلق القرآن، ومن هنا كان الحسم والرد من قبل الإمام أحمد- وهو في إبانة ابن بطة ٣/ ٣٧٣- بأن: «القرآن كلام الله غير مخلوق بكل جهة وعلى كل تصريف، وليس من الله شيء مخلوق، ولا يُخاصم في هذا ولا يُتكلم، ولا أرى المراء والجدال فيه» ا.هـ.

٢- دحض أئمة السنة معتقد الأشاعرة في قولهم: (إن كلام الله معنى واحد قائم بنفسه، وأن ما في التنزيل عبارة عنه):

أما ادعاؤهم أن (كلام الله معنى واحد) بزعم: أن تعدده من لوازم الحدوث وهو منزه عنها، وما يُفهم من كلام الأشاعرة من أن حقائق قصص الأنبياء والأوامر والنواهي في القرآن واحدة، وأن حقائق القرآن والتوراة والإنجيل كلها واحدة، إذا عُبّر عنه بالعربية كان قرآناً وإذا عُبر عنه بالعبرية كان توراة وإذا عُبر عنه بالسريانية كان إنجيلاً.. إلخ.. فجوابه: أنه يلزم على كلامهم أن تكون الصفات السبع التي يثبتونها، كلها واحدة وحقيقتها واحدة، إذ الكلام واحدة منها، فتكون حقيقة (القدرة) هي حقيقة (العلم) وهي حقيقة (الكلام) وهكذا، بل

يلزم أن نقول: إن حقيقة الصفات هي حقيقة الذات، وهذا فاسد عند جمهور العقلاء، إذ تصور هذا القول يوجب العلم بفساده.. ذلك أن لو قالوا: إن موسى سمع كلام الله كله فقد لزم أن يكون قد علم عِلْم الله، وإن قالوا: قد سمع بعضه فقد تبعض.. ولو جوّزوا أن تكون حقيقة الخبر عن كل مخبَر عنه، هي: حقيقة الأمر بكل مأمور وحقَيقة النهي عن كل منهي عنه، وأن حقيقة الأمر أو النهي هو حقيقة الخبر، للزمهم- كما قلنا- أن يجوِّزوا أن تكون حقيقة العلم هي حقيقة القدرة وحقيقة القدرة هي حقيقة الإرادة.. وإن أجابوا بأن التعلق في لغة العرب مختلِف، وأن تعلق الكلام يغاير تعلق العلم، فَرده: أن اللغة تدل على: أن الكلام لا يكون إلا بمن قام به الكلام حقيقة، وأن حقيقة الكلام أن يكون بالألفاظ.

وفي بيان خطورة ما فاه به الأشاعرة، يقول ابن أبي العز ص١٢٢ في رد كلامهم- القاضي بأن معنى كلام الله واحد، لا يُتصوّر سماعه منه، وأن المسموع المنزل المقروء، والمكتوب في المصاحف وسائر الكتب المنزلة، ليس كلام الله على الحقيقة ولا هو صفة له ولا قائماً بذاته، وإنما هو عبارة عنه-: «لاشك أن من قال: (إن كلام الله معنى واحد قائم بنفسه تعالى، وإن المتلو المحفوظ المكتوب المسموع من القارئ حكاية كلام الله وهو مخلوق)، فقد قال بخلق القرآن في المعنى وهو لا يشعر، فإن الله تعالى يقول: (قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا) (الإسراء/ ٨٨)، أفتراه سبحانه يشير إلى ما في نفسه أو إلى هذا المتلو المسموع، مع أنه مما لا يشك فيه أن الإشارة إنما هي إلى هذا المتلو المسموع، إذ ما في ذات الله غير مشارٍ إليه ولا منَزَّلٍ ولا متلوٌّ ولا مسموع؟.

ثم إن قوله: (لا يأتون بمثله)، أفتراه يقول: لا يأتون بمثل ما في نفسي مما لم يسمعوه ولم يعرفوه؛ وما في نفس الباري لا حيلة إلى الوصول إليه ولا إلى الوقوف عليه؟؛ فإن قالوا: (إنما أشار إلى حكاية ما في نفسه وعبارته، وهو المتلو المكتوب المسموع، فأما ما يشير إلى ذاته فلا)، فهذا صريح القول بأن القرآن مخلوق، كون حكاية الشيء مثله وشبهه، وهذا تصريح بأن صفات الله تعالى محكية، ولو كانت هذه التلاوة حكاية لكان الناس قد أتوا بمثل كلام الله، فأين عجزهم؟! بل ويكون التالي- في زعمهم- قد حكا بصوتٍ وحرفٍ ما ليس بصوتٍ وحرفٍ، وليسَ القرآنَ إلا سوراً مسورةَ، وآيات مسطرة، في صحف مطهرة، قال تعالى: (فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَـٰتٍ)(هود/١٣)، (بَلْ هُوَ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّـٰلِمُونَ) (العنكبوت/ ٤٩)، (فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ) (عبس/ ١٣، ١٤)، وفي الحديث: (يُكتب لمن قرأ بكل حرف عشر حسنات) كما في رواية الترمذي من حديث ابن مسعود، قال عليه السلام: (أما إني لا أقول «آلم» حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف)، وهو المحفوظ في صدور الحافظين، المسموع من ألسن التالين، قال الشيخ النسفي المفسر: (إن القرآن اسم للنظم والمعنى)، وكذا قال غيره من أهل الأصول».

وإلى لقاء آخر.. والحمد لله رب العالمين.

سلام على إبراهيم

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستهديه، ونستلهمه سبحانه الرشد والصواب، ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم.

سلام على إبراهيم

لما نسمع لفظة السلام نهفو للسلام النفسي، للسلام الآمن المطمئن، للسلام السامي مع الروح، للسلام الهادي للصواب.

السلام الذي يخلّص من الهم والحزن، ويطلب ويتمنى النجاة والبقاء والاستخلاف، ويتمنى السلامة في الدنيا والنجاة في الآخرة.

استحق إبراهيم عليه السلام من الله (السلام) قال تعالى: « سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ » (الصافات: ١٠٩- ١١١).

من يتدبر الآية بقلبه يجد أن السلام مكافأة من الله لإبراهيم عليه السلام على إحسانه وتمام عبوديته؛ وذلك بإثبات مرتبة الإحسان والإيمان لإبراهيم عليه السلام.

سلام على إبراهيم عليه السلام وعلى آل بيته وأنزل عليهم البركة والرحمة، قال

إعداد **د. ياسر لمعي عبد المنعم**
أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية المساعد
جامعة التضامن الفرنسية العربية

تعالى: « قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ » (هود: ٧٣).

سلام خلف إبراهيم عليه السلام فحفظه وذريته قال تعالى: « رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ » (البقرة: ١٢٨).

سلام داخل نفس إبراهيم عليه السلام فسكنت قال تعالى: «وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهۡدِينِ » (الصافات: ٩٩).

سلام هي حياة إبراهيم عليه السلام قال تعالى: « قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ » (الأنعام: ١٦٢).

سلام يثبته يوم القيامة قال تعالى: « وَلَا تُخۡزِنِي يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ » (الشعراء: ٨٧).

سلام من الله السلام على إبراهيم عليه السلام ومن اتبعه، سلام من الله السلام على محمد صلى الله عليه وسلم ومن اتبعه قال تعالى: « قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ » (الأنعام: ١٦١).

سلام من الله على أهل الجنة بقوله:

« سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ » (الرعد: ٢٤).

ففي الحديث: (نادى المنادي مرة: يا أهل الجنة! إن لكم موعداً عند الله يريد أن يُنجزكموه، فيقولون-وقد رضوا بما أتاهم من النعيم-: ألم يثقل موازيننا سبحانه وبحمده؟ ألم يزحزحنا عن النار؟ ألم يدخلنا الجنة؟ ألم يبيض وجوهنا؟ فبينا هم كذلك إذ سطع لهم نور أشرقت له الجنة، فرفعوا رءوسهم؛ فإذا الجبار جل جلاله وتقدست أسماؤه قد أشرف عليهم من فوقهم، وقال: يا أهل الجنة! سلام عليكم، فيردون بصوت واحد: اللهم أنت السلام، ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام).

لمَ منَّ الله على إبراهيم بالسلام أولاً؟

لأنه من المحسنين (كان مراقباً لله، كان خائفاً من الله، كان ملتزماً بأمر الله منفذاً لشرع الله).

فأصبح من المحسنين.. بل تجاوز درجة الإحسان وارتقى إلى درجة الاطمئنان، فالعبد يرتقي بإيمانه من مرحلة الإسلام إلى مرحلة الإيمان إلى مرحلة الإحسان ثم مرحلة الاطمئنان.

« وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ قَالَ فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗاۚ وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ » (البقرة: ٢٦٠).

الاطمئنان مرحلة عُليا ما وصل إليها إلا مقرب من الله؛ لذا ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ: "نَحْنُ أَحَقُّ بِالشَّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ: "رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي". قَالَ: "وَيَرْحَمُ الله لُوطاً، لَقَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ، وَلَوْ لَبِثْتُ فِي السِّجْنِ طُولَ لَبْثِ يُوسُفَ لأَجَبْتُ الدَّاعِيَ".

خلاصة القول في سبب التكريم والرفعة تجدها في قوله تعالى: « إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ » (الصافات: ٨١)؛ لأن أعلى الرتب وأرفع المقامات تجدها في التذلل لله أي في مقام (العبودية).

أثبت الله مقام العبودية لإبراهيم عليه السلام مع مرتبة الإيمان الملازمة للاطمئنان، كذلك شرف نبينا وأثبت له مقام العبودية فمن يطالع أول أمر في القرآن في سورة البقرة كان الأمر بالعبودية لله: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ » (البقرة: ٢١). يتضمن أن يكون الإنسان عبدًا لله، هذه العبودية من البشر للبشر ذل، ومن البشر لله تعالى عز وتشريف.

في مقام الإعجاز أثبت مقام العبودية للنبي صلى الله عليه وسلم: « سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ » (الإسراء: ١).

في مقام التكليف أثبت مقام العبودية للنبي-صلى الله عليه وسلم- « ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ » (الكهف: ١).

- « تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا » (الفرقان: ١).

- في مقام الحرب أثبت العبودية للنبي صلى الله عليه وسلم: « وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ » (الأنفال: ٤١).

في مقام الدعوة أيضاً أثبت له العبودية: « وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيۡهِ لِبَدٗا » (الجن: ١٩).

فما العبودية؟

العبودية: هي اسم جامع لما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة.

هيا نتدبر مقام العبودية بين التعايش والإيمان: قال تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: « فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ » (الشعراء: ٧٧)؛ لن أتقرب لهذه الأصنام

وهذه الآلهة المزعومة، ولن أعترف بها فكلها أعداء لي وليس لي معبود إلا الله (رب العالمين) رب عالم الإنس، وعالم الجن، وعالم الطير والحيوان، رب السماوات السبع ومن فيهن والأرضين السبع ومن فيهن، وما نعلم وما لا نعلم فهو رب العالمين.

«الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ» (الشعراء: ٧٨).

إنه الخالق: الذي أوجدنا من العدم.

قال تعالى: «أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ» (الواقعة: ٥٨-٦٠).

- «اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ» (الزمر: ٦٢).- (المتحرك وغير المتحرك - الجماد والإنسان الزرع والثمار....).

«ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ» (الأنعام: ١٠٢).

- «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ» (فاطر: ٣).

فهو يهدين (يهديني) صاحب الهداية: الذي خلقني فهداني فاصطفاني واجتباني ورضي عني وقرّبني ويسّر لي طاعته، وفي بيته (مسجده) أجلسني، وفي صلواته قرّبني، جعلني ملتزماً بأحكامه ولأوامره ونواهيه منفذاً ومجتنباً.

«فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ» (الأنعام: ١٢٥). ففي الحديث: (ما من مولود يولد إلا على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه).

قال تعالى: «يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ» (البقرة: ١٤٢). «سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ» (محمد: ٦،٥).

تلمح أسلوب الاختصاص في كلام إبراهيم عليه السلام عن نفسه كأنه يتلذذ بهذه الصفات ويتعبد لله بهذه النعم.

«وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ» (الشعراء: ٧٩).

الإطعام من الله... وهو الرزاق الذي أرشدني للزرع وهو من أرشدني للطعام.

«قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ» (سبأ: ٢٤).

ثم قال: «وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ» (الشعراء: ٨٠)؛ هنا تأدب إبراهيم عليه السلام فقال: مرضت (نسب المرض لنفسه)، والشفاء من الله علماً بأن الكل من الله ففي الحديث: "ما أنزل الله داءً إلا أنزل له دواءً علمه من علمه وجهله من جهله"؛ فالمرض من الله، والشفاء من الله، والمثوبة من الله لقول نبيه: (حتى الشوكة يشاكها المؤمن).

سبحانه وتعالى (النافع الضار) لكن إبراهيم عليه السلام نسب المرض لنفسه، والشفاء إلى الله.

«وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ» (الشعراء: ٨١).

فلا بد لهذه الحياة من نهاية، ولا بد لهذه العقود أن تنفرط، عقد العمر أولاً ثم عقد الحياة.

الإيمان بالبعث يمر الإنسان بمراحله الست: (موت، ثم قبر، ثم بعث، ثم نشر، ثم حساب، ثم- جنة أو نار-).

قال تعالى: «يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ» (المعارج: ٤٣). «خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ» (القمر: ٧).

ثم يجتمع الجميع عند الله «وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا» (مريم: ٩٥)؛ فتكون الرحمة الربانية، والعفو الإلهي: فتكون الحياة الأبدية في الجنة إن شاء الله؛ «وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ» (الشعراء: ٨٢).

أنا عند ظن عبدي بي، ومن جميل حسن الظن الإصرار على الله في الدعاء والانطراح على أعتابه، والقسم على الله والإلحاح على الله، فإن الله يحب أن يطرق العبد بابه.

طلب الغفران من الغفار أي التوبة، لكن وما هي خطيئة إبراهيم عليه السلام؟

إنها مواقف ثلاثة تأملها: (لما أراد حاكم مصر أن يأخذ زوجته سارة قال: هي أختي)، (لما سألوه من كسر الأصنام قال: بل فعله كبيرهم هذا)، (الثالثة لما طلب منه أصحابه التنزه وهو لا يجلس في مجالس شرك فتحجج، وقال: إني سقيم).

أطمع يا رب أن تغفر لي ذنبي قبل يوم الدين، قبل يوم الحساب، قبل رد المظالم قبل يوم العرض.

بعد الإقرار التام بالألوهية والربوبية والتوحيد الخالص يفضل الدعاء مظنة القبول؛ لذا قال إبراهيم عليه السلام: « رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ » (الشعراء: ٨٣)؛ حكماً أي علماً أي دينا أي التزاماً أي ختاماً بالهداية وارزقني صحبة الصالحين وختامي مع الصالحين، فالمرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل. والصاحب ساحب وصاحبك من ذكرك بالله حاله، ونهاك عن معصية الله مقاله.

ثم قال: « وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ » (الشعراء: ٨٤)؛ واجعل لي ذكراً طيباً في أثري وبين الناس ممن يأتون بعد موتي، (ففي الحديث: سبع يجري للعبد أجرهن وهو في قبره بعد موته: من علم علماً، أو أجرى نهراً، أو حفر بئراً، أو غرس نخلاً، أو بنى مسجداً، أو ورث مصحفاً، أو ترك ولداً يستغفر له بعد موته).

« وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ» (الشعراء: ٨٥)؛ يا رب بعد الذكر الحسن والثناء الجميل، اللهم لا رياء، اجعلني من سكان جنة النعيم فضلاً منك ورحمة منك يا رب العالمين.

« وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ» (الشعراء: ٨٦)؛ ربنا اغفر لي ولوالدي..، وهذا مما رجع عنه إبراهيم، عليه السلام، كما قال تعالى: « وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ» (التوبة: ١١٤).

لكن « وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا» (لقمان: ١٥)، لكن لهما حقوق كبيرة لا يتسع المقال لذكرها، وأحيلك لسورة الأحقاف أرجو أن تتناول المصحف الآن وتطالع الآيات (١٥ - ١٩):

« وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ» (الشعراء: ٨٧). يا رب لا تخزني يوم القيامة؛ أي في والدي؛ ففي حديث أبي هريرة يلقى إبراهيمُ أباه آزرَ يومَ القيامة، وعلى وجه آزرَ قَتَرَةٌ وغبَرَةٌ، فيقولُ له إبراهيمُ: ألم أَقلْ لك لا تعصني؟ فيقولُ أبوه: فاليومَ لا أعصيك، فيقولُ إبراهيمُ: يا ربِّ! إنك وعدْتَني أن لا تُخزيَني يومَ يُبعثون، وأيُّ خزيٍ أخزى من أبي الأبعد؟ فيقولُ الله: إني حرَّمتُ الجنةَ على الكافرينَ، فيقال: يا إبراهيمُ! انظُرْ ما بين رجلَيك! فينظر فإذا هو بذيخٍ مُلْتَطِخٍ، فيؤخذُ بقوائمه، فيُلْقَى في النَّار.

« يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ » (الشعراء: ٨٨)؛ يوم لا ينفع المال، ولن يكون صاداً ولا مانعاً من عذاب الله، ولا البنون إلا من صلح قلبه ودينه وعمله وأثره ودعوته فسينفع والده ووالدته.

« إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ» (الشعراء: ٨٩)؛ الاستثناء هنا لصاحب القلب الموحد، القلب السليم، القلب الخالي من الدنس ومن الشرك ومن سيئ الاعتقاد، ومن التصور الخاطئ تجاه الشرع والشريعة، واتهام السنة بالتقصير أو النقصان، أو التجهيل أو التأخر.

القلب السليم الذي يعتقد سلامة المنهج، وسلامة المعتقد، فإما حياة نظم الوحي سيرها وإلا فموت لا يسر الأعادي.

اللهم ارزقنا العبودية التامة، والسلام الآمن، والسكينة والسعادة يوم القيامة... اللهم آمين.

هذا وصلِّ اللهم وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

إعلام أهل الديانة بوجوب أداء الأمانة

الحمد لله حمدًا لا ينفد، أفضل ما ينبغي أن يُحمد، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه ومن تعبد، أما بعد: فقد خلق الله الناس، وجعلهم يحتاجون إلى بعضهم البعض في معاشهم، ووضع لهم الضوابط التي بها يحيون، فإن تمسكوا بها فازوا وسعدوا، واستقرت حياتهم، وإن طرحوها وراء ظهورهم، خابوا وخسروا، واضطربت حياتهم، ومن أعظم هذه الضوابط أداء الأمانة إلى مستحقيها، وعدم خيانتها، ولنا مع هذا الموضوع الوقفات الآتية:

إعداد المستشار / أحمد السيد على إبراهيم
نائب رئيس قضايا الدولة

الوقفة الأولى: معنى الأمانة لغة، واصطلاحًا:

معنى الأمَانَة لغة:

الأمانة ضد الخيانة، وأصل الأَمْن: طمأنينة النفس وزوال الخوف، والأمانة مصدر أمن بالكسر أمانة فهو أمين، ثم استعمل المصدر في الأعيان مجازًا، فقيل الوديعة أمانة ونحوه، والجمع أمانات، فالأمانة اسم لما يُؤمَّن عليه الإنسان، نحو قوله تعالى: « وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ » (الأنفال: ٢٧)، أي: ما ائتمنتم عليه، وقوله: « إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ » (الأحزاب: ٧٢).

معنى الأمانة اصطلاحًا:

الأمانة: عرفها الجاحظ-رحمه الله- في «تهذيب الأخلاق» بقوله: «التَّعفُّف عمَّا يتصرَّف الإنسان فيه من مال وغيره، وما يوثق به عليه من الأعراض والحرم مع القدرة عليه، وردُّ ما يستودع إلى مودعه». والأمانة تأتي في القُرآن، ويُراد بها عدة أمور، ذكرها ابن الجوزي-رحمه الله- في كتابه « نزهة الأعين النواظر» نقلاً عن بعض المفسِّرين:

الأول: الفرائض: ومنه قوله تعالى: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ » (الأنفال: ٢٧).

الثاني: الوديعة: ومنه قوله تعالى: « إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا » (النساء: ٥٨).

الثالث: العفة: ومنه قوله تعالى: «إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ» (القصص: ٢٦).

وهذا في شأن موسى عليه السلام؛ فالأمانة شرطٌ أساسٌ لاصطفاء الرُّسل بالرسالة.

الرابع: ما يؤتمن عليه الملائكة والرسل في التبليغ عن الله: قال تعالى حاكيًا عن جبريل عليه السلام أمين الوحي الذي ينزلُ بالوحي على أنبيائه: « نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ » (الشعراء: ١٩٣). قال ابن كثير في «تفسيره»: «هو جبريل-عليه السَلام- أمين الوحي، وقد وصفه الله بذلك في قوله: « وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ » (الشعراء: ١٩٢- ١٩٤).

الوقفة الثانية: صفات الأمانة في القرآن والسنة:

بتتبع الآيات، والأحاديث الصحيحة التي وردت بلفظ الأمانة، ومشتقاتها في القرآن والسنة، أمكن بيان صفاتها الممدوحة المترتبة على أدائها، والمذمومة المترتبة على خيانتها، وذلك على التفصيل الآتي:

١- عرض الأمانة على سائر المخلوقات:

فقد عرض الله-سبحانه وتعالى- الأمانة على السموات والأرض والجبال، فأبين أن يحملنها،

وأشفقن منها، وحملها الإنسان، قال تعالى: « إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا » (الأحزاب: ٧٢ - ٧٣).

قال السعدي -رحمه الله- في « تفسيره « تيسير الكريم الرحمن: «عظَّم تعالى شأن الأمَانَة، التي ائتمن الله عليها المكلَّفين، التي هي امتثال الأوامر، واجتناب المحارم، في حال السِّرِّ والخفية، كحال العلانية، وأنَّه تعالى عرضها على المخلوقات العظيمة، السَّماوات والأرض والجبال، عَرْض تخيير لا تحتيم، وأنَّكِ إن قمتِ بها وأدَّيتِهَا على وجهها، فلكِ الثَّواب، وإن لم تقومي بها، ولم تؤدِّيها فعليكِ العقاب. (فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا) أي: خوفًا أن لا يقمن بما حُمِّلْنَ، لا عصيانًا لربِّهن، ولا زهدًا في ثوابه، وعَرَضَها الله على الإنسان، على ذلك الشَّرط المذكور، فقَبِلها، وحملها مع ظلمه وجهله، وحمل هذا الحمل الثقيل» اهـ.

٢- الأمر بأداء الأمانة، وعدم خيانة الخائن:

فقد أمر الله المسلمين بأداء الأمانات إلى أهلها، فقال تعالى: « إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا » (النِّساء: ٥٨).

قال ابن تيمية-رحمه الله- في «السياسة الشرعية»: «قال العلماء: نزلت... في ولاة الأمور: عليهم أن يؤدُّوا الأمانات إلى أهلها، وإذا حكموا بين النَّاس أن يحكموا بالعدل.. وإذا كانت الآية قد أوجبت أداء الأمانات إلى أهلها والحكم بالعدل، فهذان جماع السياسة العادلة والولاية الصالحة» اهـ.

وأمر صلى الله عليه وسلم بمعاملة الخائن بأمانة، وعدم مقابلة خيانته بخيانة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أدِّ الأمانةَ إلى مَنِ ائتمنكَ، ولا تَخُنْ من خانَكَ». (رواه الترمذي وصححه الألباني).

٣- الله عز وجل أعظم من يحفظ الأمانة:

فإنه إذا استودع شيئًا حفظه، وإذا ائتمن على شيء رعاه حق الرعاية؛ قال تعالى: « فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ» (يوسف: ٦٤)، وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «إنَّ اللهَ إذا اسْتُودِعَ شيئًا حفظَهُ». (رواه المنذري في الترغيب والترهيب، وصححه الألباني).

٤- وأعظم من يحفظ الأمانة من البشر رسول الله صلى الله عليه وسلم:

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم بُردانِ قِطْريانِ، وكان إذا جلس فعرق فيهما ثَقُلا عليه، وقَدِمَ لفلانٍ اليهوديِّ بزٌّ من الشام، فقلتُ: لو أرسلتَ إليه فاشتريتَ منه ثوبين إلى ميسرة؟ فأرسلَ إليه، فقال: قد علمتُ ما يريدُ محمد، إنما يريدُ أن يذهبَ بمالي، أو يذهبَ بهما، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: كَذَبَ قد علمَ أني من أتقاهم لله وآداهم للأمانةِ» (رواه النسائي وصححه الألباني).

٥- وذلك لأنه أمين من في السماء:

فعن أبي سَعيد الخُدْريِّ رضي اللهِ عنه قال: «بَعَثَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِب رَضِيَ الله عَنْهُ إلى رَسُولِ اللَّه صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ من اليَمَنِ بذُهَيْبَة في أديم مَقْرُوظ، لَمْ تُحَصَّلْ منْ تُرَابِهَا، قَالَ: فَقَسَمَهَا بَيْنَ أرْبعَة نَفَر، بَيْنَ عُيَيْنَة بْن بَدْر، وَأَقْرَعَ بْن حابس، وَزَيْد الخَيْل، وَالرَّابعُ: إمَّا عَلْقَمَة وإمَّا عَامرُ بْنُ الطُّفَيْل، فَقَالَ رَجُل منْ أَصْحَابه: كُنَّا نَحْنُ أَحَقَّ بِهَذَا منْ هَؤُلاء، قَالَ: فَبَلَغَ ذَلكَ النَّبِيَّ صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ فقَالَ: ألا تَأمَنُوني وَأَنَا أَمينُ مَنْ في السَّمَاء، يَأْتيني خَبَرُ السَّمَاءِ صَبَاحًا وَمَسَاءً، قَالَ: فَقَامَ رَجُل غَائرُ العَيْنَيْن، مُشْرفُ الوَجْنَتَيْن، نَاشزُ الجَبْهَة، كَثُّ اللِّحْيَة، مَحْلُوقُ الرَّأس، مُشَمَّرُ الإزار، فَقَالَ يَا رَسُولَ الله اتَّق الله، قَالَ: وَيْلَك، أوَلَسْتُ أَحَقَّ أَهْل الأَرْض أنْ يَتَّقيَ الله قَالَ: ثُمَّ وَلَّى الرَّجُل، قَالَ خَالدُ بْنُ الوَليد: يَا رَسُولَ الله، ألا أَضْربُ عُنُقَهُ؟ قَالَ: لا، لَعَلَّهُ أنْ يَكُونَ يُصَلِّي فَقَالَ خَالدٌ: وَكَمْ منْ مُصَلٍّ يَقُولُ بلسَانه مَا لَيْسَ في قَلْبه، قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ: إنِّي لَمْ أُومَرْ أنْ أَنْقُبَ عَنْ قُلُوب النَّاس وَلاَ أَشُقَّ بُطُونَهُمْ قَالَ: ثُمَّ نَظَرَ إلَيْه وَهُوَ مُقَفٍّ، فَقَالَ: إنَّهُ يَخْرُجُ منْ ضِئْضِئِ هَذَا قَوْمٌ يَتْلُونَ كتَابَ الله رَطْبًا، لاَ يُجَاوزُ حَنَاجرَهُمْ، يَمْرُقُونَ منَ الدِّين كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ منَ الرَّميَّة، وَأَظُنُّهُ قَالَ: لَئنْ أَدْرَكْتُهُمْ لأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْل ثَمُودَ» (رواه البخاري).

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

من روائع الماضي

الهجر.. والهجرة والمهاجر

الحمد لله.. والصلاة والسلام على رسول الله.. وبعد: فإن الهجرة شرف عظيم، ومنزلة رفيعة نالها المهاجرون! ومع بداية عام هجري جديد يتجدد الحديث عن الهجرة. ونتناول في هذا البحث الموجز- بإذن الله- ثلاث كلمات يدور الحديث حولها؛ وهي الهجر، والهجرة، والمهاجر، فنقول مستعينين بالله:

إعداد **الشيخ صفوت الشوادفي**
رحمه الله

الهجْر والهجران: مفارقة الإنسان غيره؛ إمّا بالبدن أو باللسان أو بالقلب، قال تعالى: «وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ» (النساء: ٣٤)، فهذا هجر بالبدن، بمعنى عدم القرب في الفراش.

وقال تعالى: «وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا» (الفرقان: ٣٠)، فهذا هجر بالقلب، أو بالقلب واللسان.

وقال تعالى: «وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا» (المزمل: ١٠)، وهذا يحتمل هجر القلب أو اللسان أو البدن أو الثلاثة معًا، ومثله قوله تعالى: «وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا» (مريم: ٤٦)، وأما قوله تعالى: «وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ» (المدثر: ٥)، فهذا أمر بالمفارقة والمتاركة بالوجوه كلها مع السخط والنفور.

وأما الهجرة التي تحدث عنها القرآن الكريم وسمى أهلها مهاجرين فمعناها: الخروج من دار الكفر إلى دار الإيمان.

أو: انتقال المؤمن بدينه من بلد الفتنة والخوف إلى بلد يأمن فيه على نفسه ودينه، كما حدث في الهجرة إلى الحبشة، وكذلك الهجرة من مكة إلى المدينة.

وقد تحدث العلماء- قديمًا- عن الهجرة وما يتعلق بها، وكذلك عن الهجر والمهاجر، ونسوق- هنا- للقارئ الكريم جملة من لطائف المعارف، وفرائد الفوائد، ورؤوس المسائل التي تمس الحاجة إلى معرفتها، بغير تطويل ممل، ولا اختصار مخلّ!

المسألة الأولى: قال ابن القيم- رحمه الله-: (وله- أي للمؤمن- في كل وقت هجرتان: هجرة إلى الله بالطلب والمحبة والعبودية والتوكل، والإنابة والتسليم والتفويض والخوف والرجاء، والإقبال عليه، وصدق اللجوء والافتقار في كل نفَس إليه... وهجرة إلى رسوله صلى الله عليه وسلم في حركاته وسكناته الظاهرة والباطنة؛ بحيث تكون موافقة لشرعه الذي هو تفضيل محاب الله ومرضاته، ولا يقبل الله من أحد دينًا سواه، وكل عمل سواه فعيش النفس وحظها لا زاد المعاد)!!

الثانية: ذكر العلامة أبو بكر ابن العربي المالكي- رحمه الله- أنواع السفر التي يسافرها البشر، فنقل عن العلماء تقسيمًا بديعًا عجيبًا غريبًا! فقال- رحمه الله-: قسّم العلماء رضي الله عنهم الذهاب في الأرض قسمين: هربًا وطلبًا!!

فالأول- أي الهرب- ينقسم إلى ستة أقسام:

١- الهجرة: وهي الخروج من دار الحرب إلى دار

الإسلام؛ وكانت فرضًا في أيام النبي صلى الله عليه وسلم؛ وهذه الهجرة باقية مفروضة إلى يوم القيامة والتي انقطعت بالفتح هي القصد إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فإن بقي في دار الحرب عصى؛ ويختلف في حاله- أي حكمه.

٢- الخروج من أرض البدعة؛ قال ابن القاسم: سمعت مالكًا يقول: (لا يحل لأحد أن يقيم بأرض يُسب فيها السلف).

٣- الخروج من أرض غلب عليها الحرام؛ فإن طلب الحلال فرض على كل مسلم.

٤- الفرار من الأذية في البدن؛ وذلك فضل من الله أرخص فيه؛ فإذا خشي على نفسه فقد أذن الله له في الخروج عنه، والفرار بنفسه ليخلصها من ذلك المحذور، وأول من فعله إبراهيم عليه السلام؛ فإنه لما خاف من قومه قال: «إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ» (العنكبوت: ٢٦).

٥- خوف المرض في البلاد الوَخِمة، والخروج منها إلى الأرض النزهة!

وقد أذن صلى الله عليه وسلم للرعاة حين استوخموا المدينة أن يخرجوا إلى المسرح (المكان الذي ترعى فيه الأنعام) فيكونوا فيه حتى يصحوا.

وقد استثنى من ذلك الخروج من الطاعون؛ فمنع الله منه بالحديث الصحيح عن نبيه صلى الله عليه وسلم.

٦- الفرار خوف الأذية في المال؛ فإن حرمة مال المسلم كحرمة دمه، والأهل مثله وأوكد...

وأما قسم الطلب- أي القسم الثاني- فينقسم قسمين: طلب دين، وطلب دنيا، فأمّا طلب الدين فيتعدّد بتعدد أنواعه إلى تسعة أقسام:

١- سفر العبْرة؛ قال الله تعالى: «أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ» (الروم: ٩) وهو كثير.

٢- السفر للحج، والأول وإن كان ندبًا- أي مستحب- فهذا فرض.

٣- سفر الجهاد، وله أحكامه.

٤- سفر المعاش؛ فقد يتعذر على الرجل معاشه مع الإقامة فيخرج في طلبه لا يزيد عليه من صيد أو احتطاب أو احتشاش فهو فرض عليه!!

٥- سفر التجارة والكسب الزائد على القوت، وذلك جائز بفضل الله سبحانه وتعالى؛ قال الله تعالى: «لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ» (البقرة: ١٩٨) يعني التجارة، وهي نعمة منَّ الله بها في سفر الحج؛ فكيف إذا انفردت!

٦- السفر في طلب العلم؛ وهو مشهور. (يعني في زمانه، وليس زماننا).

٧- قصد البقاع؛ قال صلى الله عليه وسلم: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد».

٨- السفر للثغور للرباط بها وتكثير سوادها للذب عنها.

٩- زيارةِ الإخوة والمحبة في الله تعالى؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «زار رجلٌ أخًا له في قرية، فأرصد الله له ملكًا على مدرجته، فقال: أين تريد؟ فقال: أريد أخًا لي في هذه القرية، قال: هل لك من نعمة تربُّها عليه؟ قال: لا؛ غير أني أحببته في الله عز وجل، قال: فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه». رواه مسلم وغيره.

الثالثة: قال الخطابي- رحمه الله-: (كانت الهجرة إلى النبي صلى الله عليه وسلم في أول الإسلام مطلوبة، ثم افترضت- أي صارت فرضًا- لما هاجر إلى المدينة، للقتال معه صلى الله عليه وسلم، وتعلم شرائع الدين، وقد أكد الله ذلك في عدة آيات حتى قطع الموالاة بين من هاجر ومن لم يهاجر، فقال تعالى: «وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا» (الأنفال: ٧٢)، فلما فتحت مكة، ودخل الناس في الإسلام من جميع القبائل سقطت الهجرة الواجبة وبقي الاستحباب). اهـ.

قال البغوي في «شرح السنة» وهو يجمع بين انقطاع الهجرة واستمرارها، قال: لا هجرة بعد الفتح؛ أي من مكة إلى المدينة، ولا تنقطع الهجرة من دار الكفر في حق من أسلم إلى دار الإسلام.

وقال الماوردي: (إذا قدر على إظهار الدين في بلد من بلاد الكفر فقد صارت البلد به دار إسلام؛ فالإقامة فيها أفضل من الرحلة منها لما يترجى من دخول غيره في الإسلام).

الرابعة: قال الحافظ ابن حجر- رحمه الله- في بيان معنى (لا هجرة بعد الفتح) من صحيح البخاري: (لا تجب الهجرة من بلد قد فتحه المسلمون، أما قبل فتح البلد فمن به من المسلمين أحد ثلاثة:

الأول: قادر على الهجرة منها لا يمكنه إظهار دينه، ولا أداء واجباته فالهجرة منه واجبة.

الثاني: قادر لكنه يمكنه إظهار دينه وأداء واجباته فمستحبة لتكثير المسلمين بها- أي البلد الذي سيهاجر إليه- ومعونتهم، وجهاد الكفار والأمن من غدرهم، والراحة من رؤية المنكر بينهم.

الثالث: عاجز بعذر من أسر أو مرض أو غيره فتجوز له الإقامة، فإن حمل على نفسه، وتكلف الخروج منها أجر). اهـ. من فتح الباري.

الخامسة: قال ابن مفلح- رحمه الله- في بيان حكم هجر أهل المعاصي: يُسنُّ هجر من جهر بالمعاصي الفعلية والقولية والاعتقادية، وقيل: يجب إن ارتدع به، وإلا كان مستحبًا، وقيل: يجب هجره مطلقًا إلا من السلام بعد ثلاثة أيام، وقيل: ترك السلام على من جهر بالمعاصي حتى يتوب منها فرض كفاية، ويكره لبقية الناس تركه.

أما غير المجاهر بالمعاصي، وهو من يفعل المعصية سرًا فقد سئل الإمام أحمد: إذا علم من الرجل الفجور أنخبر به الناس؟ قال: لا، بل يستر عليه إلا أن يكون داعية. وقال القاضي: فإن كان يستتر بالمعاصي فظاهر كلام أحمد أنه لا يهجر.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله-: (المستتر بالمنكر ينكر عليه ويستر عليه، والمظهر للمنكر يجب الإنكار عليه علانية، ولا يبقى له غيبة). وذكر المهدوي في «تفسيره»: إنه لا ينبغي لأحد أن يتجسس على أحد من المسلمين، فإن اطلع منه على ريبة وجب أن يسترها ويعظه مع ذلك ويخوفه بالله تعالى).

أما هجر المسلم العدل في اعتقاده وأفعاله فقد ذكر العلماء أنه من كبائر الذنوب؛ لحديث: «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث...» الحديث، ومعلوم أن السنة الصحيحة قد نهت عن المعاداة والمقاطعة، وأوجبت على المسلم أن يكون حبه في الله، وبغضه في الله، وقال النووي في «شرح مسلم»: قال العلماء رضي الله عنهم: إنما عفي عنها في الثلاثة؛ لأن الآدمي مجبول على الغضب وسوء الخلق، ونحو ذلك فعفي عنها في الثلاث ليزول ذلك العارض.

والهجر المحرم يزول بالسلام، ولا ينبغي له أن يترك كلامه بعد السلام عليه، وظاهر كلام الإمام أحمد- كما نقله العلماء- أنه لا يخرج من الهجرة بمجرد السلام، بل يعود إلى حاله مع المهجور قبل الهجرة...

السادسة: قال العلامة محب الدين الخطيب- رحمه الله-: نحن محتاجون اليوم- من معاني الهجرة وأهدافها وحكمتها- إلى أن ننخلع في بيوتنا عن الآداب التي تخالف الإسلام، وأن نعيد إلى هذه البيوت الصدق والصراحة والنبل والاستقامة والاعتدال والمحبة والتعاون على الخير. فالبيت الإسلامي وطن إسلامي، بل هو دولة إسلامية، وقبل أن أتبجح فأنتقد ما خرج عن دائرتي من بيئات لا يفيدها انتقادي شيئًا، يجب عليَّ أن أبدأ بمملكتي التي هي بيتي فأهاجر أنا ومن فيه من زوجة وبنات وبنين إلى ما يحبه الله من الصدق، هاربين من الكذب الذي يكرهه الله ويلعن أهله في صريح كتابه، ويجب أن أنخلع أنا وأهل بيتي من رذيلتي الإفراط والتفريط فنكون معتدلين في كل شيء؛ لأن الاعتدال ميزان الإسلام، ويجب أن نحب أنظمة الإسلام وآدابه محبة تمازج دماءنا، فنتحرى هذه الأنظمة في أخلاقنا وأحوالنا وتصرفاتنا ومعاملة بعضنا لبعض، (هاجرين) كل ما خالفها مما اقتبسناه عن الأغيار وخذلنا به مقاصد الإسلام فضيعنا أغراضه الجوهرية.

إذا تربينا في بيوتنا على محبة الأنظمة الإسلامية، وتأصل ذلك في أذواقنا وميولنا، وتعودنا العمل به في مختلف ضروب الحياة، فشا العمل به حينئذ من البيوت إلى الأسواق والأندية والمجتمعات ودواوين الحكم، فإلى الهجرة أيها المسلمون...

إلى هجر الخطايا والذنوب في أعمالنا، وأخلاقنا، وتصرفاتنا.

إلى هجر ما يخالف أنظمة الإسلام في بيوتنا، وما نقوم به من أعمالنا.

إلى هجر الضعف والعطالة والإهمال والسرف والكذب والرياء ووضع الأشياء في غير مواضعها.

إلى هجر الأنانية والصغائر والسفاسف مما أراد نبي الرحمة أن يطهر منه نفوس أمته، حتى تكون خير أمة أخرجت للناس كما أراد الله لها.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه.

ماذا بعد الحج ووداع عام؟

إعداد **عبده أحمد الأقرع**

الحمد لله الكريم المنان، واسع الفضل والإحسان، وأصلي وأسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدِّين، أما بعدُ:

فلقد مرت على المسلمين قبل أيام عبادة من أجَلّ العبادات، هي الحج إلى بيت الله الحرام، أقبلوا فيها على ربهم جلَّ في علاه، مهللين مكبرين، داعين ومستغفرين، راجين من الله الرحيم أن يمحو عنهم السيئات، ويرفع لهم الدرجات كما وعدهم سبحانه وتعالى بذلك على لسان رسوله الكريم ونبيه الأمين حيث قال عليه الصلاة والسلام: «مَنْ حج فلم يرفث ولم يفسق، رجع كيوم ولدته أمه». متفق عليه.

كما وعدهم سبحانه بدخول الجنات، فقال المبلغ عن رب الأرض والسماوات صلى الله عليه وسلم: «الحج المبرور ليس له جزاءٌ إلا الجنة». متفق عليه. فيا له من فضل وإحسان وامتنان من رب البريات بمغفرة الذنوب ورفع الدرجات.

والآن قد قوضت في الحج خيامه، وانتهت أيامه، وولى الحجاج وجوههم شطر أوطانهم وبلدانهم، والسؤالُ الذي يطرح نفسه في هذه الآونة: وماذا بعد الحج؟ ماذا بعد محو السيئات ورفع الدرجات، وقد قال صلى الله عليه وسلم للأنصاري: «وأما طوافك بالبيت بعد ذلك، فإنك تطوف ولا ذنب لك، يأتي ملك حتى يضع يديه بين كتفيك فيقول: اعمل فيما تستقبل فقد غُفر لك ما مضى». (جزء من حديث صحيح الترغيب والترهيب رقم ١١١٢).

وها أنت أيها الحاج تعود بصحيفة نقية لا ذنب فيها وإنما تعمل فيما تستقبل من عمرك من عمل صالح تزين به تلك الصحيفة النقية، ولقد شهدت المشاهد والمشاعر، وجددت العهد مع الله في كل نسك من المناسك، ولكأنك تصغي لسماع آية الكمال والإتمام، إكمال الدِّين وإتمام النعمة، حيث أنزلها الله على رسوله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع بعرفات: « ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا » (المائدة:٣).

والدِّين الكامل لا يقبل زيادة، والنعمة التامة لا يجوز نقصانها وما ارتضاه لنا لا بديل عنه أبدًا، وها أنت أيها الحاج قد أعلنت التوبة لله وأشهدته عليها، وأرقت دموع الندم في تلك المشاعر، وعاهدت ربك أن تُوحِّده بالعبادة، وأن تفرده بالعمل الخالص لوجهه، وربما بُح صوتك

بهذا العهد مع الله: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك». فأوف بعهدك وحافظ على توبتك، وانظر ماذا تصنعُ في صحيفتك، احـذر كل الحـذر أن تنقض عهدك مع الله، احذر كل الحذر أن تُدنس صحيفة تعبت على تنقيتها.

احـذر كل الحـذر أن تكون ممن عناهم الله بقوله: « وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ » (التوبة: ٧٥-٧٧).

فبـأيِّ حـجٍّ رجـع من دنس العقيدة بضروب الإشـراك، ولوثها بألوان البدع والمحدثات؟ بأي حجٍّ رجع من هدم دينه بترك عموده وهو الصلاة؟ بأي حج رجع من أصر على ما يتعاطى من محـرمـات، فلم يمنعه حجـهُ عما كان يقترف من ربا أو تعاط للمسكرات والمخدرات، أو تعامل بالغش والتزوير وسيئ المعاملات أو وقـوع في القطيعة والعقوق وسافل الأخـلاق والصفات؟

ألا فلينظر كل حاج في حياته نظرة صحيحة، ويبدأ صفحة جديدة، وانطلاقة جادة، هل غيَّر الحج حياتهم من سيئ إلى حسن، ومن حسن إلى أحسن.

إن من مقاييس قبول العمل أو رده أن ينظر المرءُ إلى آثـار ذلك العمل في حياتـه، فـإنَّ من علامة قبول الحسنة الحسنة بعدها، عملاً بقول الله تعالى: « إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ » (فصلت: ٣٠).

وعن سفيان بن عبد الله رضي الله عنه قال: قلتُ: يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحدًا غيرك. قال: «قل: آمنت بالله، ثم استقم». (مسلم: ٣٨).

بل الأمـر أعظم من ذلك بالنسبة إليك أيها الحـاج، لأنـك وأنـت في منى قد حملت أمانة التبليغ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، والدعوة إلى دين الله، فأنت وافد أهلك من بيت الله، وقد خطب صلى الله عليه وسلم خطبة من جوامع الكلم ومجامع الحكم، بين فيها أصول الدين ومحاسن الإسـلام، وقال صلى الله عليه وسلم: «ليبلغ الشاهد منكم الغائب». (البخاري: ١٧٤١، ومسلم: ١٦٧٩).

وأنت إن لم تشهد وقت الخطبة وزمانها فقد شاهدت مكانها، وسمعت مضمونها، فبلِّغ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وليكن بلاغك قولاً وعملاً، ليُرى أثر هذه الفريضة العظيمة في سلوكنا وحياتنا كلها وأخلاقنا السامية متأسين بنبينا صلى الله عليه وسلم.

ألا واعلموا عباد الله أنكم تُودعون عما قريب عامًا كاملاً مضى من أعماركم بما أودعتموه من خير وشر، تودعون عامًا ماضيًا شهيدًا، وتستقبلون عاملاً مقبلاً جديدًا.

فليت شعري مـاذا أودعـتـم في العام الماضي، وماذا تستقبلون به العام الجديد، فليحاسب العاقل نفسه ولينظر في أمـره فـإن كـان قد فرط في شيء من الواجبات فليتب إلـى الله وليتدارك ما فات، وإن كان ظالمًا لنفسه بفعل المعاصي والمحرمات فليقلع عنها قبل حلول الأجـل والفوات، وإن كان ممن منَّ الله عليه بالاستقامة فليحمد الله على ذلك، وليسأله الثبات عليها إلـى الممات، فـإن العمر قصير، وكل آت قـريب، والموت يأتي بغتة، والآجـال محــدودة، والأنـفـاس مـعـدودة، والموفـق من يسعى لصلاح حاله، بحيث يكون غده خيرًا من يومه، ويومه أفضل من أمسه، وعامه الجديد أفضل من عامه الماضي، فمن أصلح ما بقي غُفر له ما مضى، ومن أساء فيما بقى أُخذ بما مضى وبما بقى.

فاللهم إنـا نسألك أن تجعل خـير أعمالنا خواتمها، وخير أعمارنا أواخرها، وخير أيامنا يـوم نلقاك، واختم لنا عامنا هـذا بالتوبة النصوح والعمل المتقبل المرفوع.

التوحيد
أوسع المجلات الإسلامية انتشاراً في العالم
٤٦ مجلداً
اطلبوها من باعة الصحف والمكتبات
٨ شارع قولة - عابدين ت/ ٢٣٩٣٦٥١٧ - ٢٣٩١٥٤٥٦

ثمن الكرتونة

١٠٥٠ جنيه

مجلدات التوحيد مكتبة علمية .. تحتاج إليها

المكتبة الإسلامية

المكتبة العامة

مكتبتك الخاصة

الأسرة المسلمة

لا يستغني عنها بيت مسلم

- الموسوعة العلمية والمكتبة الإسلامية في شتى العلوم من مجلة التوحيد
- أكثر من ٨٠٠٠ بحث في كل العلوم الشرعية داخل مجلدات التوحيد
- كتابات وأبحاث وإنتاج فكري لمشايخ وعلماء ودعاة من مصر والعالم الإسلامي

للاستفسار.. يرجى الاتصال
بقسم الاشتراكات بمجلة التوحيد
☎ 23936517

تمور الطحان ®
أصالة الزمان
ISO 22000
على شهادة
جئنا لنتفوق ..
وعليك أن تتذوق
Safety Seal
تمور الطحان
أصالة الزمان
عسل التمر
DATES HONEY
طبيعي ١٠٠ ٪
بكل فخر صنع في
مصر
علامة الجودة
www.altahhandates.com

خدمة العملاء

☎ 01284447778
01128911113

(+2) 01067717725

Altahhan.goldendates

محافظة الوادي الجديد

قلعة صناعة التمور فى مصر